المجلد الحادي عشر — الجزء ٩ و ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

ايلول — تشرين الاول

١٩٣١

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي — في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً، وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

الدفع مقدماً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل	٥٠٠	من السنة الاولى الى الرابعة	كل سنة منها
«	٣٠٠	« الخامسة الى العاشرة	« «
في الخارج	٦٠٠	« الاولى الى الرابعة	« «
«	٣٥٠	« الخامسة الى العاشرة	« «

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابن زيدون

—*—

هو الكاتب الشاعر الأديب ذو الوزارتين ابوالوليد احمد بن عبدالله بن احمد بن غالب بن زيدون المخزومي الاندلسي القرطبي .

وبنو مخزوم الذين يمتُّ اليهم بالنسب بطن من قريش ، وهم عشيرة خالد بن الوليد الفاتح العظيم . جلا أجداده الى الاندلس مع من جلا اليها من عرب المشرق ، ولم تعرف بالضبط سابقتهم فيها هم وسلالتهم ، غير انه اشتهر من أعقابهم ثلاثة تسمَّوا بابن زيدون : المترجم ، وابوه ، وابنه . ويظهر ان بيتهم نشأ في قرطبة مقر الخلافة الأموية في المغرب . وكان اول المعروفين منهم ابوالمترجم ، ذكروا انه كان فقيهاً متأدباً وجيهاً عند اهل عصره مثنىً عليه بالجميل ، وكان يكني بابي بكر ، توفي بمدينة البيرة سنة خمس واربعمائة ، ونقلت جنازته الى قرطبة ، فدفن بها ، ورثاه بعضهم بقوله :

أيُّ ركن من الرياسة هيضا ... وجموم من المكارم غيضا
حملوه من بلدة نحو أخرى ... ليوافوا به ثراه الأريضا
مثل ماء السحاب ماءً صبيباً ... ليداوي به مكاناً مريضا

وللمترجم ابن يكني ابا بكر بن زيدون ، تولى وزارة المعتمد بن عباد بعد ابيه ، وقتل يوم اخذ يوسف بن تاشفين قرطبة من ابن عباد لما استولى على مملكته سنة اربع وثمانين واربعمائة .

الحالة السياسية والاجتماعية والادبية في عصر ابن زيدون — نشأ ابن زيدون في عصر انفرط فيه نظامُ حكم العرب بالاندلس ، وتقوَّضت فيه اركان الدولة الأموية ، وذهبت ريح من زاحمهم من بني حمود من سلائل العلوية الادريسية ، وتفرقت رجالات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذه الدولة العظيمة طوائف وشيعاً ينضوي كل منهم الى كنف رئيس من قضاة الدولة او قوادها او ولاة نواحيها ، ينشيء بهم دويلة لعلها لا تزيد على مدينة وأرباضها ، واذا أتيح لمملكة من ممالك هذه الطوائف بسطة سلطان واتساع رقعة شملت عمالة قديمة او عمالتين ، ولكنها لا تقوى الا على مصاولة جاراتها والكيد لها ، واغراء العدو من ملوك الاسبان بها بل مناصرته عليها ، فاستطار شرر هؤلاء الملوك الاسبان ، وتدخلوا في شؤون هذه الدويلات بالقوة والسياسة ، وانتهى الامر باكثر هذه الدويلات ان استحذوا أمام هذا العدو القاهر ، ودفعوا له الجزية عن يد وهم صاغرون ، وهم على ذلك الذل يتنافسون في الالقاب وشارات الملك ، وتشييد القصور والمصانع وتنسيق المنازه والملاعب ، واقتناء الجواري والقيان واجتلاب فاره الدواب والغلمان ، وسهل عليهم تأسيس ممالكهم وتأثيل نعمتهم تلك المغانم العظيمة والثروة الجزيلة التي أفعمت بها البلاد فتوح المنصور ابن ابي عامر قبيل ذلك العهد ، فتسمى كل زعيم منهم بامير المؤمنين وتلقب بالرشيد والمأمون والمتوكل والناصر والمنصور والمعتضد والمعتمد كما يقول في ذلك ابن شرف القيرواني .

مما يزهدني في ارض اندلس اسماء معتضد فيها ومعتمد
القاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الاسد

واتخذ له بطانة من خيرة الادباء والكتاب والشعراء والمؤلفين ، يحرص جد الحرص على الا يكون عند غيره من ملوك الطوائف مثلها ، بحيث اذا اشتهر من بين رجال هذه الدويلات نابه في قيادة حرب او تدبير ملك او نجاح في شعر او كتابة او تأليف ، خطب كل منهم وده ، فنفق ذلك سوق العلم والادب من جهة ، وولد من جهة أخرى في نفوس وزرائهم وأعوانهم دالة عليهم طرفت الى الشك حيف إخلاصهم ومؤامرة أعدائهم عليهم فعاجلوهم بالنكبات ، وباغتوهم بالحبس والمصادرات ، وربما افلت بعضهم ، فألقى بنفسه حيف أحضان مملكة مجاورة يؤلبها على دولته الاولى ، ويبدي لها وجوه ضعفها ، وما استتر من عوارها ، فتطمع في الاستيلاء عليها او انتقاصها من أطرافها ، فاما ان تفوز بإربتها ، واما ان تكون باحثة عن حتفها بظلفها . كل هذا والعدو من الاسبان يقتطع منهم بلداً بعد بلد ومملكة بعد مملكة ، وهم لاهون غارون في بذخهم وصلفهم وتحاسدهم وتطاحنهم ، فلم يفيقوا حتى ضيق عليهم خناقهم من الشرق والغرب والشمال ، وحتى تهددهم بالاجلاء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عن ارض الاندلس جملة ، ففزعوا الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك البربر من المرابطين يستصرخونه على عدوهم ، وينشدونه بلسان حالهم :

فان كنت مأكولاً فكن خيراً كل والا فأدركني ، ولما أمزّق

فجاءهم ابن تاشفين بجيوش البربر الجرارة فدحر الاسبان في موقعة الزلاقة الشهيرة ، وردهم الى أسوار طليطلة ، ورجع الى بلاده ، فرجع ملوك الطوائف الى ما كانوا عليه ، فكر يوسف عليهم وأخرجهم من ديارهم وأدخل ما بقي للمسلمين من ارض الاندلس في سلطانه ، ونقل كبار العلماء والكتاب وكل من يحسن صناعة الى مراكش حاضرة ملكه ، وولى عليها الولاة المسمّين بالسادة من ذوي قرابته . فحمل شأن الاندلس بالتدريج في العلم والادب ، وزالت منه أبهة الملك ، فقلت الرغبة من ولاة البربر في الاستئثار بالعلماء والادباء واستبطان ارباب الإجادة ، فتقاصرت الهمم عن التحصيل والدرس والاعتزاز بالعلم والادب ، بين الذين آثروا الاقامة بالاندلس لضعفهم عن الرحلة اولفضل تراث بقي في ايديهم عن آبائهم ، فربما جاشت نفوس هؤلاء بالشعر فأجادوه تكلفاً او تطرّبا وتلهياً لا تكسباً وتثميراً كابن خفاجة وأضرابه .

ولما كان عهد ملوك الطوائف قصير الأمد كان أوائل رؤسائه وجلة علمائه وأدبائه ممن درجوا من مهد الدولة الأموية ، وربما أدرك بعضهم عصر تجدد الدولة و بسطة سلطانها على اديم الجزيرة زمن المنصور ابن ابي عامر المعافري حيث العلوم مديدة الرواق ، والآداب وارفة الظلال ، والامن والعافية وخصب العيش وطيدة الدعائم ، فلم يؤثر تفرق الكلمة وتشتت الجماعة بادي بدء في الثقافة العامة ، فوجد كل مؤسس دولة من ملوك الطوائف من يشد أزره ويسد عوزه من أرباب السيف والقلم الذين خدموا الدولة العامرية او بني حمود العلويين وممن تزين بهم ملكه من الشعراء والندمان وارباب الفنون والصناعات الجميلة . فكان للملك منهم عدة وزراء نابهي الشأن في السياسة والعلم والكتابة والشعر . وكان له من المهندسين والبنائين والمزوقين من قاموا بتشييد تلك القصور البديعة ذوات الفرش الوثيرة والبساتين النضيرة التي خلبت لب ابن تاشفين على غرارته وعجهيته ، وجعلته ينفس عليهم عيشهم ، ويستكثر عليهم ملكهم .

لذلك نعتبر عصر ملوك الطوائف من ثمة عصر نهضة اللغة وآدابها في الاندلس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولهذا ايضاً كان كثير من أدباء هذا العصر في عداد رجال الذخيرة لابن بسام والقلائد للفتح بن خاقان على الرغم من فوضى حكامه واختلال نظامه . ولكن لما فني القرن الاولون وخلفهم القرن الآخرون فتّت تلك الفوضى السياسية في عضد الثقافة العامة ، وهاضت من جناح النبوغ في العلم والأدب وتدبير الملك والصناعات الجميلة ، وأخلّت بالرخاء ورغد العيش . فلما اكتسح ابن تاشفين بسيط الجزيرة نقل عتاد ملك الاندلس وثقافته الى بلاده كما نقل ملوكه ولله عاقبة الامور .

ولا حاجة بنا في ترجمة ادبينا ان نسرد كل مملكة من ممالك الطوائف ، ومادخل في حوزتها من البلاد ، وانما نشير بايجاز الى نشأة كل من مملكة آل جهور وآل عباد وعاقبة امرهما لارتباط سيرة مترجمنا بها .

آل جهور بقرطبة — يرجع نسبهم الى بني كلب احدى قبائل قضاعة . دخل ابو عبيدة اولهم الاندلس ، ونسل بها بنيه ، وسكنوا قرطبة ، ووزروا للناصر والمستنصر والمنصور ابن ابي عامر ، وكان منهم الوزير ابو الحزم جهور بن محمد بن جهور عين أعيان قرطبة ورئيس الجماعة بها زمن الفتنة عند انقراض الخلافة الأموية ، فانه استقدم المعتمد آخر من بويع من بني أمية بالخلافة الى قرطبة ، وبايعه ، وحمل اهلها على بيعته الا ان الجند خلعوه ، ففر الى لاردة سنة ٤٢٠ هـ ثم هلك وانقرض به ملك بني أمية ، فقام جهور بضبط امور قرطبة والحكم بين الناس بها ملازماً بيته متباعداً عن قصر الخلافة ريثما يتفق الناس على إقامة خليفة فلم يتم لهم ذلك ، واستبد هو بامر الملك على زهادة وصلاح الى ان مات ودفن بداره سنة ٤٣٥ هـ وولي ابنه ابو الوليد محمد بن جهور وكان عالماً اديباً قارئاً ثم خلفه ابنه وكان سيء السيرة ، فحاصره ابن ذي النون بقرطبة ونظاهر المعتمد بن عباد بنصرته فأرسل جيشاً الى قرطبة فاستولى عليها ، وداخلوا اهل قرطبة ، فخلعوا ابن جهور وبايعوا المعتمد بن عباد ملك اشبيلية فولى عليها احد ابنائه .

آل عباد باشبيلية — اما آل عباد فأصلهم من لخم من جند حمص الشام دخل اولهم عطاف قرية بشرق اشبيلية ونسل بها بنيه ، وكان اول مستبد منهم بالملك القاضي ابو القاسم محمد بن ذي الوزارتين اسماعيل بن عبّاد ، تولى القضاء باشبيلية واشترك في بيعة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

القاسم المأمون بن حمود العلوي على اشبيلية ، ثم ثار عليه اهلها ، وولوا القاضي ابن عباد اميراً في صورة القاضي حتى هلك . وتولى بعده ابنه عباد مجاهراً بالملك ، وتلقب بالمعتضد وكان حازماً شديد الدهاء والجبروت ، فاتسع ملكه حتى عم غرب الاندلس ، ومات . وخلفه ابنه محمد المعتمد وامتد ملكه الى قرطبة ، فأخذها من آل جهور وذاع صيته وخدمه كثير من فضلاء الوزراء والادباء . وكانت اشبيلية في عصره مقصد الشعراء وقبلة كل محسن لصناعة ، الى ان نكبه الدهر واستولى على ملكه ابن تاشفين ونقله الى أغمات الى ان مات سنة ٤٨٤ هـ .

نشأة ابن زيدون — عاش ابن زيدون عيشتين : الاولى عيشته في قرطبة ، وهي عيشة تحصيل وكد ، ومزج هزل بجد ، والثانية عيشته بعد الفرار من السجن ، وهي عيشة غلب عليه فيها الجد والوقار والعظة والاعتبار .

حياته في قرطبة — ولد ابن زيدون بقرطبة سنة ٣٩٤ هـ في ايام الدولة العامرية بعد موت الحاجب المنصور بن ابي عامر بسنة واحدة ، وفي اول عهد ابنه المظفر الذي كانت ايام حكمه كلها أعياداً رخاء عيش وأمان سرب ، وحكم قرطبة يومئذ يمتد باسبانيا من مدينة شنت يعقوب شمالاً الى أقصى بلاد السوس من المغرب الاقصى جنوباً ، واهل قرطبة مغمورون في الثروة التي اغدقها عليهم الناصر والمستنصر والمنصور بن ابي عامر وابنه المظفر مدة قرن من الزمان ، من المغانم الكثيرة والسبايا اللائي امتلأت بهن البلاد وجعل بخس اثمانهن شبان الاندلس يزهدون في زواج الحرائر . ففي ربوع هذه الغبطة وفي ظلال ذينك الأمن والعافية نشأ ابن زيدون في حجر أسرة نبيهة الشأن من رجالات الدولة وأعيان فقهائها . فولد ذلك فيه حب التمتع باللذائذ والطيبات والاغتباط بمشاهد الانس والجمال ، كما ولد فيه كرم نجاره علو الهمة وتطلب ذرائع الشرف والرياسة في زمانه وبيئته : مثل وعي اللغة وحكمها وأمثالها ، والإحاطة بعلوم لسانها وحفظ القرآن الكريم ورواية الكثير من الخبر ومأثور النظم والنثر وحوادث التاريخ والقصص والنوادر فتهيأ له من ذلك فوق ذكائه الفطري مادة اكسبته النبوغ في فرض الشعر وإجادة الترسل ولطف المحاضرة ، كما انتهت عادة بامثاله من أدباء الاندلس الى تسنم مرتبة الوزارة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد كاد موت ابيه وهو بعدُ يافع لم يناهز الحادية عشرة من سنّه يكون عائقاً عن استكمال ثقافته وصارفاً له عن معاناة الكد ومضض التحصيل ، شأن كثير ممن حرمهم الزمان رعي عائلهم ، غير ان النشئة اذا كانت وطيدة الاسس نبيلة القصد شب الناشئ على ماعوّده ابوه ، ولم يعوزه في استتمام سعيه غير مراقبة هيّنة من ذوي قرابته ، وذلك مانظنه مكفولاً في مثل بيت ابن زيدون ، وخاصة اذا اجتمع له في البيئة التي شبّ فيها كل مايرغب من صنوف العلوم والآداب ، وكثيرها عديد الفحول من العلماء والادباء ، لما كانت عليه قرطبة في ذلك العهد وهي يومئذ حاضرة الاندلس في كل شيء من علم وأدب ، وشارة ملك ، وجمال صناعة ، ونعمة عيش .

قضى ابن زيدون في هذه الحال بعد موت ابيه نحو ست عشرة سنة لانعرف بالتفصيل كيف قضاها ، ولكننا نستظهر انه كان في أخرياتها معدوداً من شبان قرطبة البارعين في العلم والادب المشاركين بآرائهم ومساعيهم في شبوب نيران الثورة الكبرى في قرطبة تلك الثورة التي ابتدأت بزعزعة اركان الدولة الأموية ومنازعة دولة بني حمود العلويين لهم في الاختصاص بالملك ، وانتهت بانقراض الدولتين وتقسيم البلاد بين ملوك الطوائف . وقديماً وحديثاً كانت الثورات منبتاً خصباً لعظماء الرجال وارباب المزايا كما قد تكون مورداً لحتوفهم ، ولكلٍ ماقدر له ان سعادةً اوشقاءً فنرى ابن زيدون يظهر في فتنة قرطبة من كبار اهل الرأي والمشايعين لآل جهور في اختصاصهم بامارة قرطبة ، بل سماه الفتح بن خاقان صاحب قلائد العقيان « زعيم الفتنة القرطبية ، ونشأة الدولة الجهورية » وآل سعيه وسعي من على شاكلته الى انتخاب الوزير ابي الحزم جهور بن محمد ابن جهور حاكماً على اهل قرطبة ضابطاً لامورها حتى يتفق الناس على اقامة خليفة من الامويين ، ولكنه بدهائه ومظاهرة أمثال ابن زيدون أثّل ملكه وثبّت قدمه في الإمارة وان لم يتّسم بها ، واختصّ من أنصاره بطانةً في هيأة الوزراء والمشيرين ، وعلى رأسهم مترجمنا .

قامت دولة ابي الحزم جهور سالكة طريق الحزم والعدالة ، والتظاهر بالتمسك بآداب الدين ، والرجوع بالناس الى آداب السلف والصالحين : قال ابن خلدون في ذلك « ولم يتحول عن داره الى قصر الخلافة ، وكان على سنن اهل الفضل يعود المرضى ويشهد الجنائز

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و يؤذن عند مسجدهم بالربض الشرقي ، و يصلي التراويح ولا يحتجب عن الناس » وقال التميمي صاحب المعجب في تلخيص أخبار المغرب « وكان ابوالحزم هذا يشهد الجنائز و يعود المرضى جارياً على طريقة الصالحين ، وهو مع ذلك يدبر الامور تدبير الملوك المتغلبين ، وكان آمناً وادعاً ، وقرطبة في عصره حرمٌ يأمن فيه كل خائف . واستمر امره على ذلك الى ان مات في غرة صفر سنة ٤٣٥ هـ فكانت مدة تدبيره منذ استولى الى ان مات اربع عشرة سنة وأشهراً ثم ولي ما كان يتولى من امر « قرطبة بعده ابنه ابو الوليد محمد بن جهور فجرى في السياسة وحسن التدبير على سنن ابيه غير مخل بشيء من ذلك الى ان مات في سلخ شوال من سنة ٤٤٣ هـ .

فدولة هذا شأنها من ملازمة الجد وايثار الضبط وبث الامن والتصوّن عن مواطن الريب والخلاعة لا تطيق العبث بملكها وفرط الدالة عليهـا حتى من الداعين اليها والحاطبين في حبلها ، اذ سيئاتهم محسوبة من مثالبها . ولم يكتف ابن زيدون وهو بعدُ شاب لم يبلغ الثلاثين باستغلال مسعاه في انشاء هذه الدولة بارتقاء منصب الوزارة والسفارة ، والانابة عن ابن جهور في مهمات الامور ، حتى سوّلت له دالته على مولاه ان يستغله ايضاً في مقارفة اللذات وغشيان مجالس الشراب ومخادنة الحسان ، فوجد اعداؤه في فتاته مغمزاً في رأي جهور ، فأوغروا عليه صدره ، وروّج كيدهم له استهتاره بامرين يستدعيان الحذر .

الاول : انه أعلن التهتك والاستهتار بحب الادبة الطائرة الصيت في ذلك العهد بالادب والجمال وحسن المحاضرة «ولادة» بنت المستكفي الخليفة الأموي ، وكان لها بقرطبة مجلس أدب ومحاضرة يحتشد فيه أدباء قرطبة وشعراؤها وابناء الوزراء السابقين والاعيان المقدمين ، تطارحهم الادب والاخبار ، وتبادههم في الملح والاشعار ، وكلهم معجب باديبها وجمالها جاهد في نيل الحظوة عندها والتقرب منها ، فاستبق الجميع الى قلبهـا ومجلسها ادبينا ابن زيدون ، وهو يومئذ وزير الدولة الجهورية . فيظهر ان جهوراً أوجس خيفةً من حشد يجتمع في بيت من بيوت الخلافة الاموية ان يصير امره الى كيد لدولته وألب على سلطانه ، وخاصة اذا كان أقربهم الى الوقوع في الشرك وزير دولته وأقدرهم على افساد القلوب عليه . ورأى مزاحموه في حب «ولادة» وحاسدوه على مكانه من وزارة جهور ان الفرصة في ابن زيدون ممكنة فسعوا به اليه ، وجعلوا ظنه يقيناً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وصادف ذلك دالة من ابن زيدون عليه لقديم بلائه عنده ، وسعيه في قيام دولته فعاجله بالحبس ، وتغدى بابن زيدون قبل ان يتعشى هو به .

او أن جهوراً انكر من ابن زيدون لهوه وخلاعته وانقطاعه الى مايكون تغاضيه عنه قادحاً في دولته جالباً على سمعته المعرة وسوء القالة ، فحسم الداء قبل استشرائه .

الثاني : ان جهوراً كان يسفره الى ملوك الطوائف ، وزعماء الموالي العامريين من البربر والسودان ، لمتنزين على أملاك الخلافة في كثير من المشكلات السياسية ، فيكلل مسعاه بالنجاح ، ونقع بلاغته في رسائله اليهم من نفوسهم موقعاً ، فحسدوا جهوراً عليه ورغب كل في استمالته اليه ، وشداً زر دولته به ، كراً يذاذلك في كل دولة عظيمة اقتسمت رقعتها ملوك طوائف وزعماء شيع ، فكانت كل دويلة منها تجهد ان تجتذب الى دعوتها فحول الرجال ، وتبذل النفيس في اصطناع العلماء والشعراء والكتاب ، تجعلهم عتاداً لها وزينة لملكها : كالدول التي تألفت من تشتت شمل الدولة العباسية : من الدول البويهية والسامانية والحمدانية والإخشيدية والفواطم ، وكالدول التي انعقدت من انحلال دولة السلجوقيين ، ودولة صلاح الدين الايوبي ، ودولة الموحدين بالمغرب ، وفي كل ذلك نرى العلماء والشعراء وكل ذي مزية يُدل على سلطانه بنفاق سوقه ، ويهدده بالانضواء الى غيره ، وفي حياة المتنبي والبديع والخوارزمي والشريف الرضي وابن نباتة السعدي وابن سينا والفارابي والرازي وابن خلدون ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم شاهد صدق لذلك .

فيظهر ان ابن زيدون كان يدل على مولاه بسابقته عنده ، ومكانه من نفوس ملوك الطوائف كما أشار بل صرح بذلك في كثير من شعره ونثره ، حتى في رسائله التي استشفع بها وان اجتماع كلتا الخصلتين في خادم دولة كاف لإبغار صدر المتفرد بها بمجد الملك والعظمة ، فهو لا يطيق من مؤسس مملكته دالته عليه ، ويغار على سلطته معه من مزاحمته فيها ، فيتعجل نكبته : كما فعل عبد الملك بن مروان بعمرو بن سعيد ، والمنصور العباسي بابي مسلم الخراساني وعبد الرحمن الداخل بمولاه بدر ، وعبيد الله الفاطمي بابي عبد الله الشيعي الداعية ، وغير هؤلاء كثيرون ممن لا يحصون عدداً .

نكب جهور وزيره ابن زيدون وسجنه سجن اعتقال مرفهاً عليه في العيش ومكاتبة الناس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم حرد عليه لسبب ما وجعله في سجن اللصوص والمجرمين . ولعل ذلك كان بسبب الرسائل التي كتب بها الى الناس والى مخدومه يعدد بها أعماله في توطيد امر جهور ويمتن بذلك عليه .

لبث ابن زيدون في السجن بضع سنين ، ولكن كم كانت مدتها ؟ ومتى كان مبدؤها ؟ اما الاول فيجيبنا هو عليه بقوله من قصيدته الطائية البليغة :

سنون من الايام خمس قطعتها اسيراً ران لم يبد شد ولا ربط

واما الثاني فيجيبنا هو ايضاً عليه بقوله من قصيدته الرائية التي كتب بها من السجن الى ابي الحزم جهور :

لم يطو برد شبابي كبرة وأرى برق المشيب اعتلى في عارض الشعر

قبل الثلاثين اذ عهد الصبا كثب وللشبيبة غصن غير مهتصر

ونحن نعلم ان انقطاع دعوة بني أمية من قرطبة كان سنة اثنتين وعشرين واربعمائة ، ونعلم ان مولد ابن زيدون كان سنة اربع وتسعين وثلاثمائة ، فإذن كان بدء خدمته في دولة آل جهور وهو في الثامنة والعشرين من عمره .

واذا قدرنا انه بعث بهذه القصيدة في مبدإ اعتقاله كما هو الظاهر اذ قد صرح فيها بانه لم يبلغ الثلاثين كانت مدة خدمته لآل جهور لا تزيد على سنتين ، وكان بدء اعتقاله في نهاية سنة اربع وعشرين واربعمائة ، او اول خمس وعشرين واربعمائة .

لبث ابن زيدون في السجن خمس سنين استعطف فيها ابا الحزم جهوراً واستشفع عنده بابنه ابي الوليد محمد بن جهور ، وكان اليفه وصديقه من قبل ، وبغيره من الرؤساء ووجوه قرطبة ، وبث اليه واليهم شكواه بعدة قصائد أبدعها ، ورسائل استنفد فيها جهده ، ومن ذلك رسالته الجدية الشهيرة ، فما ألانت منه قلباً ولا ثنت له عطفاً .

فأعمل الحيلة في الفرار من سجنه فتم له ذلك ، وتوارى مدة في قرطبة والزهراء حتى سكن غضب جهور عليه بشفاعة ابنه ابي الوليد محمد بن جهور وكثير من الفضلاء ، وأذن له في الظهور ، ولكنه لم يجد له مساغاً من نفوس آل جهور ومن نفسه ان يستعيد عندهم حظوته الاولى ومنصبه القديم ، فرغب في عرض ادبه وكفايته على ملوك الطوائف ، وتنقلت به الاحوال من دولة الى أخرى حتى القى العصا في مملكة آل عباد سنة ٤٤٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهنا تبتدئ حياته الثانية بعد فراره من السجن وخدمته غير آل جهور . وقبل ان نذكر شيئاً عن حياته الثانية نرى انه من المناسب ذكر شيء من اخباره مع ولادة .

اما ولادة هذه فأميرة أدبية أموية . ومع بعد صيتها جاءنا اسم ابيها مختلفاً فيه فقد كُتب في قلائد العقيان غير مرة انها بنت المهدي من الخلفاء المتخلفين الذين ولوا أزماناً قصيرة زمن الفتنة البربرية . وكذلك كُتب في تاريخ المعجب للتميمي ، و كُتب في نفح الطيب نقلاً عن ابن بشكوال انها بنت المستكفي من اولئك الخلفاء . غير اننا نرجح الأخير ، ونظن ان ذكر المهدي سهو من الفتح اوتحريف من نساخ قلائده وان كان تحريف المستكفي الى المهدي غريب لتباعدهما في الرسم فان الاوصاف التي ذكرها ابن بشكوال وغيره في ابيها تنطبق على المستكفي اكثر من انطباقها على المهدي و يضيق بنا المقام عن ذكر النصوص الدالة على هذا الترجيح .

وفيها يقول ابن بشكوال في الصلة :

« كانت أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر ، وكانت تناضل الشعراء وتساجل الادباء وتفوق البرعاء ، وعمرت طويلاً ولم تتزوج قط ، وماتت لليلتين خلتا من صفر سنة ثمانين واربعمائة ، وقيل اربع وثمانين رحمها الله تعالى . وكان ابوها المستكفي بايعه اهل قرطبة لما خلعوا المستظهر .... وكان خاملاً ساقطاً . وخرجت هي في نهاية من الادب والظرف ، حضور شاهد ، وحرارة أوابد ، وحسن منظر ومخبر ، وحلاوة مورد ومصدر . وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر ، وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر ، يعشو اهل الادب الى ضوء غرتها ، و يتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها وعلى سهولة حجابها وكثرة منتابها . تخلط ذلك بعلو نصاب وكرم انساب ، وطهارة أثواب ، على انها اوجدت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها اه » .

وفيها يقول صاحب المغرب :

« انها بالمغرب كعلية بالمشرق الا ان هذه تزيد بمزية الحسن الفائق . واما الادب والشعر النادر وخفة الروح فلم تكن تقصر عنها ، وكان لها صنعة في الغناء . وكان لها مجلس يغشاه أدباء قرطبة وظرفاؤها ، فيمرفيه من النادر وانشاد الشعر كثير لما اقتضاه عصرها من مثل ذلك اه » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أحب ابن زيدون هذه الاديبة حباً مفرطاً جر عليه وعليها سوء القالة على عفافها وصيانتها . وكانا يتهاجران ويتهاجيان حتى يبلغ بهما الهجو حد الاقذاع ، ومع ذلك صرح غير مرة في شعره بانها لاتنال ، وان وصالها في منزلة المحال . وفيها يخاطب الوزير ابا عامر ابن عبدوس مزاحمه في حبها في نوبة هجر منها لابن زيدون وصفو لابن عبدوس :

وغرك من عهد ولادة سراب تراءى وبرق ومض
هي لما يعز على قابض ويمنع زبدته من مخض

وابن عبدوس هذا هو الذي كتب اليه ابن زيدون رسالته الشهيرة الهزلية على لسان ولادة جواباً لرسالة بعث بها اليها مع عجوز يستريث وصلها ، ويستعطف قلبها ، وسنصفها بعد .

ونتبع اخبار ولادة وشعرها في الغزل والهجو والتماجن يخرجنا عما قصدنا اليه . وكل ماينبغي ان نشير اليه هنا هو تأثير حبها في ابن زيدون : شعره وخلقه . اما في شعره فذلك الغزل الرقيق ، لايصدر الا عن حب عميق ، واما في خلقه فقد خلع فيها العذار ، وجانب الوقار ، وعادى الأحرار ، وقامر بمنصبه وجاهه جد قمار ، واستعقب الحبس والاسار . وسنأتي بعد على طرف من غزله فيها وتشوقه اليها .

واذا قدرنا انه فر من السجن سنة تسع وعشرين واربعمائة فعلى اي حال قضى هذه الاثنتي عشرة سنة ، وما الدول التي اتصل بها ؟ هذا السؤال يجيبنا عليه الفتح بن خاقان صاحب قلائد العقيان بجواب مجمل ولفظ مبهم فيقول :

« ولم تزل الايام تدنيه وتبعده ، وتسوؤه وتسعده ، وتقذف به الى كل نازح ، وتطرف أمله بعين اللاعب المازح ، حتى أحلته بلنسية وهلال ذهائه كما أقمر ، وغصن نباهته يانع قد أثمر ، وبنو عبدالعزيز غرر ملكها ، ودرر سلكها ، يفيضون بحور الندى ، ويومضون في كل منتدى ، فحل منهم محل الحميا في الكؤوس ، ووقع منهم مواقع البشائر في النفوس . وأقام بين مبرة تواصله ، ومسرة تفازله ، ومكارمة تغاديه . ومجاملة كرائح القطر وغاديه . فلما انفصل ، وحصل فيما حصل ، تذكر بعد برهة ذلك العيش ونور عمره قد صوح ، وغصن سنه قد ذوح . فلم يجد الا له طيبا ، ولم يبصر غير فننه غصناً رطيباً ، فكتب الى ابن عبد العزيز :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

راحت فصبح بهـا السقيم ريح معطرة النسيم
مقبولة هبت قبو لاً فهي تعبق في الشميم
أفضيض مسك ام بلذ سية لرياهـا نميم
بلـد حبيب أفقـه لفتى يحل به كريم
إيه ابا عبـد الالـ ـه نداء مغلوب العريم
ان عيل صبري من فرا قك فالعذاب به اليم
او اتبعتك حنينهـا نفسي فانت لها قسيم
ذكرى لعهدك كالسها د سرى فبرح بالسليم
مهما ذممت فما زما ني في زمانك بالذميم
زمن كمألوف الرضا ع يشوق ذكراه الفطيم
أيام أعقـد ناظر ي بذلك المرأى الوسيم
فأرى الفتوة غضـة في ثوب أواه حليم
الله يعلم انـ حبـ ـك من فؤادي في الصميم
ولئن تحمل عنك في جسم فعن قلب مقيم
ثم السلام تبلغنـ ـه بقلب مهديه السليم

وفي ايام مقامه ببلنسية ونشوقه الى بلاده قال :

غريب بارض الشرق يشكر للصبا تحملها منـه السلام الى الغرب
وما ضر انفاس الصبا في احتمالها سلام فتى يهديه جسم الى قلب »

وبنو عبدالعزيز الذين يذكرهم صاحب القلائد هم من أحفاد المنصور بن ابي عامر اقام مواليهم من البربر دولة لهم في شرقي الاندلس وهي المعروفة بدولة العامريين ومواليهم من البربر ، وكان للمنصور عبدالعزيز بن عبدالرحمن الناصر بن المنصور بن ابي عامر منهم دولة عتيدة دامت نحو ٤٠ سنة زمن الثورة وبعدها .

ولم نعلم المدة التي خدمهم فيها ابن زيدون وانما نفهم من سرد هذه النبذة انه غادر بلنسية لا عن موجدة عليه من ملوكها ، وانما هو الشوق الى وطنه غربي الاندلس جره الى ان خدم ملك الغرب المعتضد بن عباد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« حياته الثانية »

خدمته آل عباد - لم يطب لابن زيدون عيش في خدمة العامريين بشرقي الاندلس لبعدها عن وطنه ولأنه رأى ان لا أمل في رجوعه الى قرطبة الا اذا انتزعها منهم ملك يعيش في كنفه من ملوك الطوائف . فلم يصدق ظنه الا على ابن عباد ملك اشبيلية . وكان أشدهم شكيمة وأوسعهم رُقعةَ مُلكٍ . فأخذ يرتاد امور إشبيلية ويتعرف إمكان الرحلة اليها بمكانتها عظمائها وامتداح ملكها . ولما وجد الفرصة موانية رحل اليها . وبالغ المعتضد في الاحتفاء به . فاتخذه وزيراً وسميراً وسفيراً على شدة بطشه وجبريته وفتكه بكل عظيم يرتاب فيه من عظماء دولته حتى ولده الاكبر وولي عهده . فعجب الناس من ابن زيدون كيف اهتدي الى مداراة هذا الجبار واستدامة مودته له . وكيف عجز عن استصلاح حاله مع ابن جهور على صلاحه وعدله . وكأنهم غفلوا عن ان الدهر نعم المؤدب .

ولم يزل عند المعتضد اثيرا لمنزلة . موفور الغبطة . مقبول المشورة في الخير والشر . فأكثر عنده من الكيد لمنافسيه في الدولة والوقيعة بهم ليخلو له وجهه . ويخلص له وده . وفتك المعتضد بتدبير ابن زيدون بكثير من أعيان الدولة . وبقي مخشي الجانب حتى مات المعتضد وخلفه ابنه المعتمد فرعى فيه ثقة ابيه وأخلص له ابن زيدون نيته ونصيحته . ومازال يغريه بملك قرطبة ويراسل أعيانها يستميل جانبهم الى المعتمد حتى نجح سعيه . وساق المعتمد جيشه الى قرطبة . فانتزعها من آل جهور وضمها المعتمد الى مملكته وولى عليها ابنه سراج الدولة اسماعيل ففاجأه ثائر بها يدعى ابن عكاشة فقتله . فكر المعتمد عليها واستعادها .

وعاش ابن زيدون في دولة المعتمد محفوفاً برضاه منظوراً بعين ثقته . وكاد له بقية خصومه ومنافسيه عند المعتمد مراراً فلم يسمع لقولهم وأمعن في تحقيرهم وهجوهم . ويقال ان إلحافهم في الوشاية وقع بآخرة من نفس المعتمد . ولكن منية ابن زيدون عاجلته باشبيلية سنة ٤٦٣ هـ . وخلفه ابنه ابوبكر في وزارته للمعتمد كما ذكرنا من قبل . ومن الغريب ان الصفدي وهو مؤرخ كبير بعد ان ذكر ان وفاته كانت سنة ٤٦٣ هـ وانه دفن باشبيلية ناقلاً ذلك عن شيخه الذهبي العلامة المؤرخ الثقة عاد ونقل خطأً عن ابن بشكوال انه مات سنة ٤٠٥ هـ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في مدينة البيرة ونقل الى قرطبة ودفن بها ومولده سنة ٣٥٤ هـ . ثم لم يكشف بهذا الخطأ حتى عقب عليه بقوله « قلت ولعل الذي قاله ابن بشكوال الصواب على ان ابن بسام قال في الذخيرة توفي سنة ٤٦٣ وكان يخضب بالسواد » . مع انه لو راجع نفسه قليلاً لوجد انه في سنة ٤٠٥ لم تكن دولة بني أمية ولا دولة بني حمود قد زالتا من الوجود . فكيف كانت توجد دولة بني جهور وزراء العامر بين ودولة بني عباد وزراء الحمود بين وهما الدولتان اللتان خدمهما ابن زيدون . وأغرب من هذا ان بعض من كتب في حياة ابن زيدون من العصر بين جعل هذا خلافاً في موته ومكان دفنه مع انه نفسه نقل في اول ترجمة ابن زيدون ان الذي مات سنة ٤٠٥ بالبيرة ونقل الى قرطبة ودفن فيها هو والد ابن زيدون . والذي جر الى هذا الخلط بين كليهما ان ابن خلكان بعد ان ذكر وفاة ابن زيدون على صحتها قال : « وذكر ابن بشكوال في كتاب الصلة اباه وأثنى عليه وقال : كان يكنى ابابكر وتوفي بالبيرة سنة خمس واربعمائة ونقل الى قرطبة فدفن بها . وكانت ولادته سنة اربع وخمسين وثلاثمائة وكان يخضب بالسواد » .

فيظهر ان الصفدي صحف فقرأ لفظ (أباه) بالموحدة (اباه) بالمثناة ولم يفطن لوقائع التاريخ وجاراه معاصرنا فنقل هذا الخلاف الموهوم ولله في خلقه شؤون .

اخلاق ابن زيدون — شب ابن زيدون على سعة علمه وغزارة ادبه وكرم محتده مولعاً بالطرب مشغوفاً بمبادرة اللذات ومعاقرة الشراب ومخادنة القيان ومؤانسة الحسان كبير الأثرة بالتفرد من ذلك بكل مرغوب . فجرّ ذلك عليه حب ولادة ومنافسة دهاة الادباء في الاختصاص بها وعرض نفسه للهلاك مراراً من جرائها .

ولكثرة ثقته بنفسه لما يفطن لكيد خصومه عند ابن جهور حتى وقع في شرك نكبته . فخرج من السجن ناقماً على النظراء والمنافسين متحيناً الفرصة لتعجيل النكاية بهم قبل ان يعاجلوه . وكانت نكبة جهور درساً بليغ الاثر في نفسه استفاد منه بقية حياته فعلمته حسن المداراة وتملق الرئيس فنجا من يد ذلك السفاح عباد المعتضد بل جعله سيفاً ماضياً يقطع به أعناق خصومه . وكان ابن زيدون مع نزقه واستهتاره في شبابه وغدره باصحابه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عالي الهمة . لا يقنع من دولة ملك الا بافتراع منصب وزارته . والاخذ بناصية منادمته ومشاورته .

علمه وأدبه وبديهته — نشأ ابن زيدون في عصر اختل فيه نظام ملك بني أمية فجأة بثورة البربر المشؤومة . وقامت هذه الثورة وآثارا لحضارة في كل شيء من علم وادب وفنون ضاربة بجرانها في قرطبة . فكانت غاصة بالعلماء والفقهاء واللغويين والشعراء والمحسنين في كل صناعة ممن نبتوا في عصر المنصور الهنيّ . فصادف ابن زيدون مَنْ نهل من علمهم وكرع من أدبهم . وكان ابوه وعشيرته من اهل الفقه والادب فلم يكن اقباله على ما اخذ به أهلوه انفسهم بدعاً من نفسه . وانما جرى في مضمارهم فبذهم علماً وادباً . وبعد صيت وعلو همة .

« للبحث صلة »

مصر (القاهرة) : احمد الاسكندري
عضو المجمع العلمي العربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كتب الادب القديمة والحديثة

—«×»—

خزانة اللغة العربية مكتظة بكتب الادب القديمة حتى يخيل الى المنقب والباحث انها ليست في نوع من العلوم أغنى منها في هذا النوع لان المتقدمين كتبوا كثيراً في هذا الفن وافننوا فيه افتناناً يدل على جلالة هذا العلم عندهم وشدة اهتمامهم به ورسوخهم فيه .

ولكن أسلوبهم في هذا التراث العظيم الذي خلفوه لاعقابهم بالامس غير مايتطلبه أعقابهم اليوم من حل (تحليل) لنفسية الاديب كاتباً كان ام شاعراً ام خطيباً . ودرس لأسلوبه واستنباط لخصائصه المختلفة من بيئة ووراثة وسجية وتحيص لاغراضه وأخيلته وبيان ماجوّد فيه ومالم يجوّد الى غير ذلك مما أودعه آثاره التي تركها ذخيرة لمن بعده .

ان طالب الأدب على هذا النمط الحديث اذا حاول درس شيء مما تقدم وأراد الرجوع الى كتاب من كتب الأدب القديمة لينقب فيه عن ضالته التي ينشدها اعترضه في طريقه مالم يكن في حسابه من العقبات التي تجعل غايته بعيدة المنال .

فهو اما ان يرى أمامه بحراً يعب عبابه . من سرد الروايات واختلاف طرقها وتعدد وجوهها وتمحيصها فلايكاد يصل الى اقتناص مايحاوله الا بشق الأنفس ناهيك مما يمر به في طريقه من اسهاب فيما لاعلاقة له بالموضوع الذي يبتغيه . وربما نسي مايعنيه اثناء اجتيازه مالا يعنيه .

واما ان يسقط به الجد على كتاب سلك سبيلاً من الايجاز لا يتمكن معه من الإلمام بشيء مما يلتمسه الا كحسوة الطائر .

واما ان يصطدم بعقبات صعبة المرتقى من الكلمات الغريبة والعبائر العويصة بحيث لايقطع واحدة منهن حتى يستقبل اوعر منها سبيلاً واصعب مسلكاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فلا يعثم بعد قليل من الزمن ان تملك عليه السآمة سبيله اوينيخ عليه الاعياء باعبائه وتضمحل رغبته فيهيم في مجهل لايدري مخارجه من مواجه .

وهو بعد هذا كله اذا ظفر بشيء مما يبتغيه فانما يظفر به شعاعاً في مطاوي الصحائف وتضاعيف السطور كما يجد المحصل قطع الفضة في المعدن ولا يعلم الا الله مايكابده في تنقيتها وتصفيتها ثم جمعها وسبكها ثم افراغها في القالب الذي يود افراغه فيه ثم عرضها بعد ذلك على أذواق تختلف في استحسانها واستهجانها .

وقد كنا نود ان نطيل القول في علل هذه المآخذ ومايؤخذ به ونضيف الى ذلك مانراه من الأدوية الناجعة لها .

لولا اننا رأينا هذه الكتب على علاتها خيراً مما تخرجه لنا قرائح الادباء في هذا العصر وتخطه أقلامهم فان الباحث الممعن في الكتب القديمة يجد من تحقيق في المسائل وتثبت في الرواية والنقل وروية في الحكم وتمحيص في المباحث فالأدلة ووثوق باللغة وصحة في الضبط مالايجد معشاره في خير ماأخرجه العصر الحاضر للناس من كتب هذا الفن .

وان الباحث في الكتب الحديثة ليرى من جمال الوضع ورقة الأسلوب وصفاء الديباجة والقرب مما يتطلبه المتأدب في هذا العصر ، مايصبي القلوب ويخلب الالباب ويروع المسامع ولكنه لا يلبث ان يجد تحت هذا الطلاء المزيف الخلاب . من التهاون بالضبط والتثبت . وقلة العناية بالتمحيص والتحقيق أضعاف ماوجده من روعة التعبير وجمال الأسلوب .

ومن انكر النكر ان ترى كتب المتقدمين يتولى طبعها ونشرها فريق من المتأخرين فيصدرها بمقدمات طافحة بتقريظ نفسه والثناء على مااستنفده من المجهود وكابده من المشاق في تنقيحها وتهذيبها وشرحها وتصحيحها وو الخ . حتى يخيل اليك ان هذا الكتاب براء من كل شائنة وشائبة ثم لاتكاد تقرأ بضعة عشر سطراً حتى تجد من شواهد الإهمال وأدلة التهاون ، والهفوات الفاضحة والخطيئات الواضحة ، مالا يسعك معه تصديق شيء ماشحنت به تلك المقدمات الطويلة ولا الوثوق بشيء من ذلك الكتاب .

ولعل القارئ يكبر مانقول او يعده ضرباً من المبالغة والتهويل أونوعاً من التحامل بغير حق ولكننا نورد له مثالين يتبين منهما ان التأليف والطبع اصبحا في هذا العصر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحديث ضرباً من الاتجار وان الكتب أصبحت كالسلع يحرص فيها على اكتساب المال اكثر مما يحرص على خدمة العلم .

المثال الاول : كتاب تاريخ الادب العربي للاستاذ الكاتب المجيد الطائر الصيت السيد احمد حسن الزيات فانه والحق يقال أبدع ماخطته انامل كاتب في هذا الفن للمتأدبين في هذا العصر .

فقد يروعك منه جمال أسلوبه وعذوبة ألفاظه وحسن تأنقه ولاتكاد تجد فيه مغمزاً لغامز الا ان الاستاذ مؤلفه على جلالة فضله وغزارة ادبه يخسه حقه من التصحيح والتثبت في اختيار النماذج فجاءت فيه هنات كالبثرة في وجه الحسناء والكلف في صفحة البدر .

المثال الثاني : كتاب زهر الآداب للحصري قام بطبعه ونشره وتنقيحه وتصحيحه وشرحه وو ... الدكتور زكي مبارك . وهذا الكتاب تغني شهرته في عالم الأدب عن الإطناب في التعريف به . وقد جاء بعد الطبع والتنقيح والتصحيح غاصاً بالخطإ المشين مكتظاً بالغلط المزري به . وقلما تمر بالقارئ صفحة لايرى في خلالها خللاً اولوثة تحجل بينه وبين المعنى المراد سداً منيعاً . ورب شرح قلب المعنى من حسن الى قبيح وكان كالجرح المعد في صفحة الوجه الصبيح وستأتي أدلة ذلك وشواهده .

وقد آثرنا البداءة بالكلام في كتاب « تاريخ الادب » السابق ذكره وجعلنا القول فيما رأيناه فيه على نوعين :

الاول في النماذج التي أوردها لشعراء عصر واصحابها من رجال عصر آخر و يندمج في هذا النوع بعض الخطأ التاريخي .

والثاني في بيان ماجاء من الكلم مضبوطاً بشكل مخالف لما عليه أئمة اللغة واعلامها و يندرج فيه بعض الابيات التي نسبها الى شخص وهي لغيره .

النوع الاول وقد رتبنا الكلام فيه على ترتيب العصور في الكتاب ليسهل الرجوع اليه .

« العصر الجاهلي »

١ — قال عند كلامه في الشعر عند العرب انه ديوان علومهم وحكمهم وسجل وقائعهم وسيرهم .. وكانوا كلهم يروونه وجلهم يقرضونه عفو البديهة وفيض الخاطر الخ . وذكر في الذيل ان من الشعراء من كانوا يروون وينقحون فسموهم عبيد الشعر لذلك كزهير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعدي بن الرقاع ثم اورد بيتاً لسويد بن كراع . ومن البين ان سياق القول في الشعر عند العرب الجاهليين بدليل قوله عقب ذلك حتى روى عنهم من الشعر الوجداني في قرن ونصف مالم يرو عن أمة الخ . وعدي بن الرقاع شاعر أموي كان مقدماً عند الوليد بن عبدالملك . وكان ينزل الشام وقد عده ابن سلام في الطبقة السابعة من شعراء الاسلام . وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء انه من احسن من وصف ظبية وولدها وهو القائل يصفها :

تزجي اغن كأن ابرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها

وترجمته في الاغاني وشواهد المغني للسيوطي . وذكر صاحب الاغاني ان جريراً دخل على الوليد وعنده عدي بن الرقاع الى آخر القصة .

٢ — وذكر في نماذج الشعر الجاهلي من قول المرقش الاكبر :

ان تبتدر غاية يوماً لمكرمة تلق السوابق منا والمصلينا

وقد نسبها ابن قتيبة في الشعر والشعراء الى نهشل بن حري وصدّرها بقوله :

انا بني نهشل لا ندعي لاب عنه ولا هو بالابناء يشرينا

ونسبها في شرح الحماسة الى بشامة بن حزن النهشلي وكذلك المبرد في الكامل وصاحب لسان العرب . وقد عد ابن سلاّم نهشلاً في الطبقة الرابعة من الشعراء الاسلاميين والبيت الاول يشهد انها ليست للمرقش .

٣ — وذكر في نماذج هذا العصر ايضاً ابياتاً وهي :

اطل حمل الشناءة لي وبغضي وعش ما شئت فانظر ما تضير الخ

ونسبها الى عنترة الاخرس من طيء .

وفي الاغاني انها لعبد الله بن الحشرج على الاصح وقد كانت وفاته نحو سنة ٩٠ .

٤ — وذكر في نماذج هذا العصر قصيدة للصمة بن عبد الله بن طفيل مطلعها :

حننت الى ريا ونفسك باعدت مزارك من ريا وشعبا كما معا

والصمة هذا شاعر اسلامي من شعراء العصر الأموي كما ذكر ذلك صاحب الاغاني والبغدادي في الخزانة وصاحب معاهد التنصيص .

٥ — وذكر ابياتاً وهي :

سلي البانة الفيناء بالاجرع الذي به البان هل حييت اطلال دارك الخ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولم يسم قائلها وهي لعبد الله بن الدمينة .

ثم أردفها بقصيدة لابن الدمينة المذكور مطلعها :

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد لقد زادني مسراك وجداً على وجد الخ

وابن الدمينة شاعر اسلامي كما في شرح شواهد المغني للسيوطي وغيره .

٦ — وذكر في نماذج هذا العصر ابياتاً وهي :

هواي مع الركب اليمانين مصعد جنيب وجثماني بمكة موثق الخ

ونسبها الى جعفر بن حلبة الحارثي . والصواب ابن علبة وهذا الشاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية كما صرح بذلك صاحب الاغاني والسيوطي وغيرهما .

٧ — وذكر ايضاً في نماذج العصر الجاهلي بيتين للمؤمل المحاربي اولها :

وكم من لئيم ود اني شتمته وان كان شتمي فيه صاب وعلقم

والمؤمل المحاربي من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية وكانت شهرته في العباسية اكثر لانه كان من الجند كما ذكر ذلك صاحب الاغاني . وقال في نكت الهميان ان المؤمل توفي في حدود التسعين والمائة وهو القائل في مسجد الكوفة يوم توفي المهدي (مات الخليفة ايها الثقلان) فقال جماعة هذا أشعر الناس . ثم قال (فكأني أفطرت في رمضان) . فضحك الناس به .

٨ — وذكر في نماذج هذا العصر ابياتاً لشبيب المرّي اولها :

وانى لتراك الضغينة قد بدا تراها من المولى فلا استثيرها الخ

وشبيب هذا شاعر اسلامي من شعراء الدولة الأموية كما صرح بذلك صاحب الاغاني . وقد عده ابن سلام الجمحي في الطبقة الثامنة من الشعراء الاسلاميين .

٩ — وذكر في نماذج هذا العصر بيتين عزاهما الى سالم بن وابصة الاسدي اولها :

اذا ما انت من صاحب لك زلة فكن انت محتالاً لزلته عذرا

وسالم هذا من شعراء الدولة الأموية قدم دمشق وسكنها وولي الرقة مدة طويلة . ومات في آخر خلافة هشام كما ذكر ذلك ابن عساكر في تاريخه .

« العصر الأموي »

١٠ — وذكر في نماذج العصر الأموي أبياتاً لعمرو بن الاطنابة اولها :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أبت لي همتي وأبى بلائي وأخذي الحمد بالثمن الربيح الخ

وعمرو بن الاطنابة جاهلي كما صرح بذلك صاحب الاغاني والسيوطي . وكان ملك الحجاز .

« العصر العباسي »

١١ — وذكر في نماذج العصر العباسي لسان الدين بن الخطيب وقد كانت ولادته سنة ٧١٣ والعصر العباسي ينتهي سنة ٦٥٦ فالصواب ذكره في العصر الذي يليه .

١٢ — وفي صفحة ٢٧٥ ذكر ان ابن بابشاذ توفي سنة ٤٩٩ وقد ذكر ابن خلكان ان وفاته سنة ٤٦٩ .

١٣ — وذكر في ص٣٠٦ ان البخاري خرج الى مكة سنة ٤١٠ في حين انه توفي سنة ٢٥٦ فالصواب انه خرج سنة ٢١٠ .

١٤ — وذكر في ص٣٢٥ ان الفرنج ابتلعوا دويلات الاندلس لقمة سائغة سنة ٨٩٨هـ ثم قال بعدها : ودالت دولة الفاطميين والمصريين في مصر والشام فوقعتا في يد الأمويين ثم صارتا الى المماليك وظلتا تحت سلطانهم حتى دخلتا في حكم الأتراك العثمانيين سنة ٩٢٣ . ولعل الأمويين محرفة عن الايوبيين .

وذكر في ص ٢٩٣ ابن مالك النحوي في نحاة العصر العباسي وقد كانت وفاته سنة ٦٧٢ .

وذكر في ص٣٠٤ في الكلام على التاريخ ابا الفداء وابن الطقطقي وابن خلدون وابن العبري . وكلهم ممن توفي بعد انقضاء العصر العباسي فالاول توفي سنة ٧٣٦ والثاني سنة ٧٠٢ والثالث سنة (٠٠٠) والرابع سنه ٦٨٥ .

النوع الثاني :

١٥ — ذكر في ص ١٨ . عذيرك من خليلك من مراد . ضبط كلاً من عذير وخليل بضم الراء واللام ومن بفتح الميم وقد ذكر هذا الشطر صاحب اللسان . وقال بعده : يقال عذيرك من فلان بالنصب اي هات من يعذرك فعيل بمعني فاعل يقال عذيري من فلان اي من يعذرني ونصبه على اضمار هلم معذرتك اياي .

١٦ — وفي ص٤٣ . قال نشأ زهير بن ابي سلمى بن ربيعة بن رَباح . ضبطها بفتح

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الراء والباء الموحدة . والصواب انه بكسر الراء ثم بالياء المثناة التحتية كما ضبطه السيوطي في شرح شواهد المغني والبغدادي في الخزانة والنووي في التهذيب .

١٧ — وفي ص ٤٤ قال : سعى ساعيًا غيض بن مرة . والصواب غيظ بن مرة كما في اللسان والاعلم الشنتمري والتبريزي .

١٨ — وفي ص ٧٠ . قال مفصل الآيات مزدوَج الكلمات . ضبط مزدوج بفتح الواو والصواب الكسر لان اسم المفعول لا يبنى من اللازم .

١٩ — وفي ص ٧٤ في الأمثلة التي اوردها من القرآن الكريم . قال وان يُخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده . ضبط يخذلكم بضم الياء والصواب بفتحها .

٢٠ — وفي ص ٧٣ اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم . ورسم تنسون بالتاء المثناة والثاء المثلثة . والصواب وتنسون انفسكم

٢١ — وفي ص ٧٤ . من يعمل سوءاً يجز به ولا يجدُ له من دون الله وليًا ولا نصيرا . ضبط يجد بالضم . والصواب بالجزم .

٢٢ — وفي الصفحة نفسها . ومن اوفى بما عاهد عليه الله . ضبط هاء عليه بالكسر وهاء الله بالضم . والصواب ضم الاولى وفتح الثانية .

٢٣ — وفي ص ٨٥ . قال وقطري بن الفجاءة . ضبط قطري بضم القاف والصواب بفتحها .

٢٤ — وفي ص ٩١ . وهو يعلم ان ضلعها معها . ضبطها بكسر الضاد وفتح اللام . والصواب فتح الضاد وسكون اللام كما في اللسان .

٢٥ — وفي ص ٩٣ . للحارث بن كلدة ضبطها بفتح الكاف وسكون اللام والصواب بفتحهما كما في اللسان وتهذيب الاسماء للنووي . وفي المصباح الكلدة القطعة الغليظة من الارض والجمع كلد مثل قصبة وقصب و بالمفرد سمي . ومنه الحرث بن كلدة الطبيب .

٢٦ — وفي ص ١٠٢ . فذخرت بحور المدح والفخر بالذال والصواب فزخرت بالزاي .

٢٧ — وفي ص ١٠٦ . سبقوا هَوِيّ واعنقوا لهواهم . ضبط هوي بكسر الواو والصواب بفتحها كما في لسان العرب بقلب الالف ياءً مع ياء المتكلم كما هي لغة هذيل . يقولون هوَيّ وعَصَيّ وقَفَيّ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٨ — وفي الصفحة نفسها ·

فالعين بعدهم كانت حداقها كحلت بشوك فهي عَوْرا تدمع

ورواية البيت : سملت بشوك فهي عُورٌ تدمع · قال في اللسان فاما قول ابي ذؤيب فالعين الخ · فعلى انه جعل كل جزء من الحدقة اعور او كل قطعة منهـا عوراء · وهذه ضرورة وانما آثر ابوذؤيب هذا لانه لو قال (فهي عورا) لقصر الممدود · فرأى ما عمله اسهل عليه وأخف · وابو ذؤيب قائل هذا الشعر مخضرم ·

٢٩ — وفي ص ١٠٧ · وقال الطرماخ بالخاء وصوابه الطرماح بالحاء المهملة ·

٣٠ — وفي ص ١٠٨ · على نضوج قر يحته ولم اجد في اللسان والقاموس والتاج والصحاح والمصباح كلمة النضوج وانما المذكور النضج مصدر نضج واعادها في ص ١٤١ وغيرها ·

٣١ — وفي ص ١٢٢ · حتى ضج الغيورون والزهاد · وغيور يستوي فيه المذكر والمؤنث كصبور وانما يجمع على غُيُر كما نص على ذلك اللسان والتاج والمصباح ·

٣٢ — وفي ص ١٢٣ · لشعر ابن ابي ربيعة (توطة في القلب) بالتاء والصواب نوطة بالنون · وفي الصفحة نفسها (وانما هو تبع نُساء) بضم النون والصواب كسرها ·

٣٣ و ٣٤ — وفي ص ١٢٤ · فيُضحي واما بالعشي فيخصر والصواب فيضحى بفتح الياء والحاء · وفي الصفحة المذكورة واطفئت مصابيح ست للعشاء وأنور · والصواب شبت بالعشاء · وفيهـا ايضاً (ونفضت عني النوم اقبلت مشية الحبَاب) ضبطها بفتح الحاء · والحباب بالفتح نفاخات الماء و بالضم الحية ولعله هنا اوفق · وفيها اريتُك ان هذا عليك بضم التاء · وفسرها في الذيل بمعنى خبرني · وهي بهذا المعنى بفتح التاء كما نص عليها صاحب اللسان ·

٣٥ — وفي ص ١٢٧ ·

بئس الصحاب وبئس الشرب شربهم اذا جرى فيهم المزاء والسُكرُ

ضبطها بضم السين والكاف · وفي اللسان بئس الصحاة ··· المزاء والسَكَر بفتح السين والكاف وهو الخمر او النبيذ او شراب من التمر ··

٣٦ — وفي ص ١٣٣ · لقد ولدت ام الفرزدق مقرَفا · ضبطها بفتح الراء والصواب بكسرها ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٣٧ — وفي ص١٥٤ · في خطبة داود بن علي · لا ورب هذه البِنْيَة · وأومأ بيده الى الكعبة · ضبط البنية بكسر الباء وسكون النون · والصواب البنية بفتح الباء وكسر النون وتشديد الياء كغنية وهي الكعبة ·

٣٨ — وفي ص١٨٨ · يتظنى من الكآبة أن يبدو الخ والاولى أن يبد ·
وفي الصفحة بتطليق عُرس · ضبطها بضم العين والصواب الكسر ·
وفي الصفحة غلائل برس ضبطها بفتح الباء والصواب الكسر او الضم ·

٣٩ — وفي ص١٨٩ · وقالت احدى شواعر الاندلس تصف وادي آش ثم ذكر الابيات :

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث العميم الخ

وفي معجم البلدان لياقوت ووفيات الاعيان ان هذه الابيات للوزير ابي نصر المنازي ·

٤٠ — وفي ص١٩٢ · واذاعوا في الناس الرنذقة والصواب الزندقة ·

٤١ — وفي ص١٩٣ · في ترجمة بشار ولقبه المرعث لانه كان في أذنيه رعاث والرعثة القرط والمعروف انه كان في أذنه رعثة · لا في أذنيه رعاث جمع رعثة ·

٤٢ — وفي ص٢٠٠ · عنك من سالي والصواب سال ·

٤٣ — وفي ص٢٠١ · شغوفاً بالاشعار · ولم اجد شغوفاً ·

٤٤ — وفي ص٢٠٦ · أعقب الهرجان والصواب المهرجان ·

٤٥ — وفي ص٢٠٨ · يدحو الرفاقة والصواب الرقاقة ·

٤٦ — وفي ص٢١٢ · وقضت غيًا مرة ورشد · ولا يستقيم وزن البيت · ولعل اصله وقضيت ·

٤٧ — وفي ص٢١٣ · انكروا شكوا مما أحبه والصواب شكواي ·

٤٨ — وفيها محمد بن الحسن الموسوي والصواب ابن الحسين ·

٤٩ — وفي ص٢١٥ · ابو اسماعيل ابن الحسين والصواب الحسين باسقاط كلة ابن ·

٥٠ — وفي ص٢١٨ · وستقنصر والصواب وستقنصر ·

٥١ — وفي ص٢٢٧ · ذهاباً بنفسه إعجاباً بشعره والصواب وإعجاباً ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٥٢ — وفي ص٢٢٨ · لو لم يكن منك الوري الذ منك هو · وصواب البيت ·(لو لم تكن من ذا الورى الّذ منك هو) ·

٥٣ — وفي ص٢٣٠ · هو ابوالحارث والصواب الحارث ·

٥٤ — وفي ص ٢٣١ · او يزبل مصون شعره والصواب او يذبل ·

٥٥ — وفي ص٢٣٤ · بغليط القطن والصواب بغليظ ·

٥٦ — وفي ص٢٣٥ · في الكلام على ابي العلاء المعري · وقف على قبره زهاء ثمانين ومائة شاعر والمشهور ثمانون شاعراً ·

٥٧ — وفيها في الذيل · فبينما يقول شلا · ولا معنى للشل ولعلها شكا ·

٥٨ — وفيها في الذيل · وبهود حادث والصواب حارث ·

٥٩ — وفي ص٢٢٦ · حتى تكول كتاباً والصواب حتى تكون ·

٦٠ — وفي ص٢٣٧ · فما النَّوْر نوّار والصواب فما النُّور بضم النون ·

٦١ — وفي ص٢٤٠ · ولكي تمام الشيء والصواب ولكن تمام الشيء ·

٦٢ — وفي ص٢٤٥ · بصبري من والصواب منها ·

٦٣ — وفي ص٢٥٦ · شلو ظعينهم والصواب طعينهم ·

٦٤ — وفيها هُضب ضبطها بضم الهاء والصواب فتحها ·

٦٥ — وفي ص٢٦٩ · يمشي الهوينا · والصواب الهوبني · وهي تصغير هوني مؤنث أهون ·

٦٦ — وفي ص٢٧٢ · لم يدع في مهجتي الاذِما ضبطها بكسر الذال · وكذلك ضبط الذِماء في ص٣٢٧ والصواب فتح الذال ·

٦٧ — وفي ص٢٧٩ · سحر عينيه جآزره بالزاي والصواب جآذره بالذال ·

٦٨ — وفي ص ٢٨٠ · بعنبر طيبه والصواب طينه لان حرف الروي النون ·

٦٩ — وفي ص٢٨٢ · ١٠٣ بيت والصواب أبيات ·

٧٠ — وفي ص٢٩٥ · برنبوريه ضبطها بكسر الواو وقد ضبطها ابن خلكان بفتحها ·

٧١ — وفي ص٢٩٧ · آمالي في النحو والصواب امالي بغير مد ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٧٢ = وفي ص ٣٣٩ · ذكر · لفظ · سوريا بالالف بعد الياء وقد ذكرها غير مرة وقد ضبطها في القاموس بالياء المخففة والتاء ·

٧٣ = وفي ص ٣٥٥ · سواد الملة · ضبط الملة بضم اللام والصواب كسرها ·

٧٤ = وفي ص ٣٦٠ · وان نقصى حاجاتهم اذا سألوا والصواب نقضي ·

٧٥ = وفي ص ٣٦٤ · فالقت اليه بصرة فيها المال ضبط صرة بفتح الصاد · والصواب ضمها كما في المصباح والقاموس ·

٧٦ = وفي ص ٣٦٥ · وكان بعيد الخَوْر · والصواب بعيد الحور يقال رجل بعيد الحور اي عاقل والحور العمق ·

٧٧ = وفي ص ٣٧٤ : من المبتديان الى التجهيزية · ولا يظهر صحة هذا اللفظ ·

٧٨ = وفي ص ٣٧٧ ·

لا تحيني روحي الفداء لما حبيك غداً من صحيفة المقدور

والوزن والمعنى يقضيان ان يكون الصواب · لما حيك ·

سليم الجندي
عضو المجمع العلمي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قاعدة توهم الاصالة

— أو —

انجذاب الطبع

كتبتُ تحت هذا العنوان مقالين احدهما في (المجلد ٥ ص ٢٠٥) والثاني في (المجلد ١٠ ص ١٢٩) فجاءني من الاستاذ سليمان ضاهر عضو مجمعنا العلمي كتاب أثنى فيه على المقالين وعد موضوعهما من الموضوعات المبتكرة فرجوت منه ان يساعدني في تقصي أشباه تلك الكلمات التي جمعتها فيكون لنا منها رسالة مستقلة في موضوع الكلمات الشاذة الصيغة بناء على التوهم .

ولا حاجة الى تلخيص ما قلته في المقالين وانما اذكر القارئ الكريم بهما بذكر مثال منهما : (ريح) اصل يائها واو ولذا تجمع على (أرواح) لكن اهل اللسان توهموا ان الياء في ريح اصلية لا منقلبة عن واو ولذا جمعوها على (أرياح) ايضاً . وقد سردت في المقالين أشباهاً ونظائر لكلمة (ريح) بلغت (٤٤) كلمة خولف فيها القياس بناءً على التوهم . وقد أنيت في المقالين على ذكر كلمات غير فاموسية مما نستعمله اليوم وعدّه بعضهم من (عثرات الأقلام) الواجب تجنبها لكنني انا بنيت تجويز استعمالها على (قاعدة توهم الحرف الزائد اصلياً) وذلك كقولهم (أشّر على الكتاب بوشر تأشيراً) فقلت ان هذا جائز بناءً على توهم ان همزة (إشارة) أصلية لا زائدة .

ومازلت من يومئذ أداأب في جمع أمثال تلك الكلمات فعثرت على طائفة أخرى منها أحببت ان أودعها مقالي هذا زيادة في خدمة هذا البحث وايضاح موضوعه .

(رقم ٤٥) : فعل (يتسنّه) في قوله تعالى (فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنّه) مرّ معنا في المقالين (مجلد ٥ ص ٢١٠) و (مجلد ١٠ ص ١٣١) ان كلمة (سنة) بمعنى العام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أصلها سنو حذفت الواو وعوض عنها (تاء) فهذه التاء تارة توهموا أصالتهـا فاشتقوا من (سنة) بناءً على هذا التوهم فعل (أسنت) القوم بمعنى قحطوا - وتارة كانوا يتوهمون تلك التاء (هاء) ومن ثم جمعوها على (سنهات) واشتقوا منهـا فعل فقالوا (سانهه) هذا ملخص ماقلناه هناك وهنالك . اما مانقوله هنا فهو في تحقيق فعل (يتسنه) بالنون المشددة والهاء الساكنة . فنرى اولاً ماذكره المفسر الكبير (الطبري) ثم نذكر ما عنّ لنا في امر تطبيقه على (قاعدة التوهم) :

رجّح الطبري في تفسيره (جزء٣ صفحة٢٥) ان هاء (يتسنه) أصلية وليست بزائدة للوقف وان ماضيه (تَسَنَّهَ) (من التفعل) اي أتت عليه السنون فتغير كما يقال ايضاً (أَسْنَهَ) فلان عندنا اذا أقام سنة .

إذن المادة الأصلية التي اشتق منهـا كل من فعل (تسنَّهَ) و (أَسْنَهَ) — هي كلمة (سنة) بمعنى العام باعتبار ان أصلهـا (سنه) بالهاء لا (سنو) بالواو . وهو قول لبعضهم ولم يرض الطبري ان يكون اصل (يتسنه) = (يتسنّن) وان تكون هاؤه للوقف كما في آية (فبهداهمو اقتده) . وقال ان هاء (اقتده) لاوجه لها الا ان تكون للوقف . بخلاف هاء (يتسنّه) فلايحسن ان نجعلها زائدة للوقف مادام يمكننا جعلها أصلية من مادة (سنة) بمعنى العام . وجعلها أصلية لازائدة هواللائق بكتاب الله . قال واذا جعلنـا هاء (يتسنّه) زائدة للوقف كان أصله (يتسنّنُ) بثلاث نونات (على وزن يتكلم) فقلبت الثالثة ألفاً كما قلبت في فعلي (يتظنّن) و (ينقضض البازي) فقيل (يتظنّى) و (ينقضّى) وفعل (يتسنّن) قيل فيه (يتسنّى) ثم دخله الجازم في الآية فقيل (لم يتسنّ) ودخلته هاء الوقف فقيل (لم يتسنّه) ففعل (تسنّن) لاعلاقة له بالسنة بمعنى العام وانما علاقته بمادة (سن) مشددة النون . ومعناه يتغير ويتنن . ومنه قوله تعالى (من حمإ مسنون) اي منتن متغير .

هذا محصل ماقاله الطبري . بقي علينا ان نبحث في ما اذا كانت مادة (سنّ) تفيد معنى الانتان والتغير . هذا القاموس وشرحه ومستدركه سردوا عدة معانٍ للسن ولم يذكروا معنى التغير والنتن فيها . اللهم الا الشارح (التاج) فقد قال : « قال : ابو الهيثم سنّ الماء فهو مسنون اي تغير » وقول الطبري في تفسير قوله تعالى (حمإ مسنون) (جزء١٤ صفحة٢٠) مانصه « وكان بعض؟ أهل الكوفة يقول (المسنون) هوالمتغير قال :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كأنه أخذ من سننتُ الحجر على الحجر وذلك ان يحك احدهما بالآخر ويقال للذي يخرج من بينهما سنين ؟ ويكون ذلك منتناً اه » .

فمادة (سنّ) إذن تدل على معنى التغير والنتن كما فهم من قول (ابي الهيثم) و (بعض اهل الكوفة) وعلى أساس قوليهما بنى بعض المفسرين واللغو يين حكمه في ان الهاء في (يتسنه) زائدة للوقف وان اصل (يتسنى) (يتسنن) كما ان اصل (يتظني) (يتظنن) .

ومن هنا ننتقل الى قاعدة (توهم الأصالة) وتطبيقها على (تسنن) بمعنى تغير وأنتن : ان المفسرين واللغو يين الذين يفسرون (التسنن) بالانتان والتغير يقولون هكذا : (يتسنن يتغير لمرور السنين عليه) فكلمة (السنين) مأخوذة في تعريف كلمة (التسنن) وداخلة في مفهومها وملاحظة في تحليل معناها . والسنون جمع (سنة) و (سنة) ليس في مادتها الا نون واحدة . أما جمعها (سنون وسنين) ففيها نونان إحداهما أصلية والاخرى زائدة لإفادة الجمع . والكلمتان تذكران كلما أريد وصف الشيء بالقدم فيقال (قديم مرت عليه السنون) (قديم لم تغيره السنون) (قديم مرّ عليه كذا من السنين) فمن ثم علق بالطبع وتوهمت النفس ان نون الجمع أصلية في (سنين وسنون) لازائدة وان توهم أصالتها هذا جذب طبع العرب الى ان يشتقوا من سنين مشتقات مضاعفات النون فاشتقوا (حمأ مسنون) اي مرت عليه سنون ويلزم من مرور السنين عليه تغيره وتنته فالتغير والنتن لازم لمعنى (السنّ) وليس هو المعنى نفسه . واشتقوا ايضاً من مادة (سنين) فعل (يتسنن) من باب (يتكلم) بمعنى مرت عليه سنون طويلة حتى تغير وأنتن . ومنه قوله تعالى (لم يتسنّه) اي لم يتغير ولم يفسد بمرور السنين عليه .

هذا ما رأيته في تحليل كلتي (مسنون) و (يتسنه) وتطبيقهما على قاعدة توهم أصالة الحرف الزائد وهو نون الجمع في سنين . والذي جعلني أذهب الى هذا قلة ما رأيت أرباب المعاجم يفسرون مادة (سنّ) بمعني التغير والنتن . اللهم الا ماروي عن (ابي الهيثم) و(بعض أهل الكوفة ؟) وقد رأيت قولهما غامضاً ولم يؤيدهما فيه احد بل ربما كان تفسيرهما السن بالتغير من باب التفسير باللازم كما مرت الإشارة اليه آنفاً .

(٤٦) : (ميثاق ـ مياثيق ومياثق) يقال في هذا الجمع ما قلناه في (مياسم جمع مبسم) وقد مر في (مجلد ١٠ صفحة ١٣١) فان (ميثاق) بمعنى العهد مشتق من (وثق) الواوي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واصله (موثاق) فاذا أريد جمعه قيل (مواثيق) وهوالقياس · لكنهم لما رأوا الياء وسمعوها تتكرر في (ميثاق) المفرد (واخذ الله ميثاق النبيين) توهموها أصلية فجمعوها ايضاً على (مياثيق) بياء قبل القاف وانما أثبتوا هذه الياء لوجود الألف في المفرد أعني (ميثاق) وجاء فيه (مياثق) من دون ياء أنشد الفرا :

(رحيّ لا يُحَلّ الدهرَ الا باذننا ولا نسأل الأقوام عقد المياثق)

وحذف (الياء) من (مياثق) وأمثاله ضرورة اوقياس؟ خلاف · وقد مشى الزبيدي في التاج على انه قياس بدليل قوله (واما ابن جني فقد لزم البدل في مياثق كما لزم في عيد وأعياد) · وقوله (البدل) اي ابدال الواو ياءً · فيقال (مياثق) لا (مواثق) كما قالوا (أعياد) لا (أعواد) راجع ماقلناه في (عيد أعياد) (مجلد ٥ صفحة ٢٠٦) ·

نقول : لما ذا لم يجعلوا (مياثق) من دون ياء قبل القاف جمعاً لموثق كما هو القياس لا لميثاق ؟

والجواب انهم انما لم يجعلوها جمعاً لموثق لعدم إمكان تطبيق (قاعدة التوهم) عليها · وذلك ان (موثق) فيها واو فتجمع على (مواثق) بالواو ولا يقال في موثق (ميثق) بالياء حتى يجمعوها على (مياثق) بالياء وتراهم قد صرحوا ان (مياثق) مفردها (ميثاق) التي فيها ياء · وهذا يؤيد قاعدتنا التي أصّلناها في التوهم ·

(٤٧) : (شيءٌ أصابته الريح : فهو مروح ومَريح) : مما جاء على قاعدة توهم أصالة الحرف قولهم (شيءٌ مريح) اذا أصابته الريح وهو اسم مفعول من (الريح) و ياء الريح أصلها واو لكنها قلبت ياءً لانكسار ماقبلها وقد مر هذا في تحليل جمع (ارياح) (مجلد ٥ ص ٢٠٥) وانه كان الواجب ان يقال (ارواح) ·

واذ كانت (الريح) مشتقة من (الروح) الواوي كان الأصل ان يقال في اسم مفعوله (مروح) بالواو كما قالوا (مقول) من القول و (مصوغ) من الصوغ لكنهم قالوا ايضاً (مريح) بالياء كأنما هو يأتي الاصل على حدّ (مكيل) المشتق من الكيل ·

ولما ذا فعلوا ذلك ؟

لانهم رأوا الياء في (ريح) لازمة فتوهموها أصلية لامنقلبة وانجذب طبعهم الى جعل اسم مفعولها (مريح) مثل (مروح) القياسي · اونقول ان قولهم (مريح) بناءً على توهمهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أصالة الياء في فعل (ربح الغديرُ) ونحوه اذا أصابته الريح هكذا يفهم من (التاج) اي ان لزوم الياء في (مريح) ناتج عن توهم أصالة ياء (ربح) اعني الفعل المجهول لا ياء (الريح) التي هي اسم .

قال ابو حية النميري :

(لعيناك يوم البين أسرع واكفا من الفنن الممطور وهو مروح)

والفنن هو الغصن و (الممطور) هو الذي أصابه المطر و(المروح) الذي أصابته الريح هذا شاهد (مروح) الذي هو القياس اما شاهد (مريح) الشاذ فقد ذكره ابو زيد الانصاري في نوادره (صفحة ٣٦) من ارجوزة في صفة دروس الدار وهو قوله :

(ودرست غير رمادٍ مكفور مكتئب اللون مريحٍ ممطور)

اي ان الدار اندرس اثرها ولم يبق فيها غير رماد قد كُفِر اي ستر وأصابته الرياح والامطار . وروى صاحب التاج هذا الرجز لمنظور بن مرثد الاسدي واوله :

(هل تعرف الدار باعلى ذي القُور) و (القور) جمع قارة وهي الجبلة . على ان (التاج) روى في الرجز المذكور (مروح) مكان (مريح) ثم عاد فقال : (ومريح ايضاً) بالياء : مثل (مشوب) و (مَشيب) بُني على (شِيب) . وغصن مريح ومروح أصابته الريح وقال يصف الدمع :

(كأنه غصن مريح ممطور)

وكذلك مكان مروح ومريح وشجرة مروحة ومريحة صفقتها الريح فألقت ورقها اه .

(٤٨) : (لبن مشوب ومَشيب) مر في الكلام على (مريح) الاشارة الى ان صاحب التاج مثّل لمريح بكلمة (مشيب) من حيث مخالفة كل منهما للقياس وان (مريح) بالياء ان كانت بُنيت على (ريح الغدير) فان (مشيب) اسم مفعول بمعنى (مشوب) بنيت على (شِيبَ) وعبارة التاج موجزة جداً . لكنه عاد فأوضحها في مادة (شوب) فقال (والشوب ماشبته من ماء او لبن فهو مشوب ومشيب) ثم زادها ايضاحاً بقوله « وقول السليك ابن السلكة :

(سيكفيك صربَ القوم لحمٌ مغرضٌ وماءٌ قدورٍ في القصاع مشيبُ)

انما بناه على (شِيب) الذي لم يسم فاعله » ثم فسّر البيت فقال و (الصرب) اللبن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحامض ، (اللحم المفرّض) الغريض الطري . وقوله ماء قدور مشيب اي مخلوط بالتوابل فصح لنا من قول التاج شاهد على قاعدتنا في توهم أصالة الحرف وهو كلمة (مشيب) فان قياسها (مشوب) لكن العرب من كثرة ما استعملوا فعل « شِيب الماء » و « شيب الخمر » و « شيب اللبن » .

(تلك المكارم لا قعبانِ من لبن شيبا بماء فعادا بعدُ ابوالا)

— توهموا ان الياء في فعل (شيب) أصلية فبنوا صيغة اسم مفعوله على صيغته فقالوا (مشيب) استناداً الى هذا التوهم . اما كلمة (مشيب) بمعنى الشيب فصيغتها وإعلالها الصرفي جار بان على نمط آخر .

(هَنَهَ — هنيَّة هُنَيْهة) : (الهِنْوُ) بكسر هائه معناه الوقت يقال : (مضى هنو من الليل) واذا فتحت هاءه كان معناه الشيءُ . لكنهم اذ ذاك لا يبقونه على حاله بل يتصرفون فيه على ضروب : فاذا حذفوا واوه ولم يعوضوا عنها حرفاً مكانها وقالوا (هن) كان كناية عن السوأة وكل مستقبح .

واذا عوضوا عن الواو تاءً مربوطة فقالوا (هنة) كما قالوا في (سنو) (سنة) — كنوا بها عن الشيءُ القليل او الحقير واذا قالوا (فلان صاحب هنات) أرادوا بها خصال الشر .

واذا عوضوا عن واو (هنو) تاء مبسوطة وقالوا (هَنْت) كنوا بها عن المرأة و يشترط حينئذ استعمالها في النداء فيقولون (يا هَنْتاه) لكنه نداء لا يشرّف صاحبته اذ ان فيه معنى التحقير او التجهيل ولذا فسر بعضهم (ياهنتاه) في حديث الافك بيا بلهاء . ومنه قول (دُغَة) لضرتها (ياهنتاه هل يغفر الجَمّ رفاه) مع ان (دغة) هي الجديرة بالتهكم والتجهيل . راجع حكايتها في شرح قول العرب في المثل (أحمق من دغة) .

نرجع الى (هنة) بالتاء المربوطة ويكنى بها عن الشيءُ القليل .

(هنة) هذه تصغر فيقال فيها (هنيّة) وأصلها (هنيوه) بالواو في آخرها لان التصغير يرد الاشياء الى اصولها . و يريدون (بهنيّة) المصغرة ما أرادوه (ببهنة) المكبرة أعني انها تستعمل كناية عن الشيءُ اليسير او الحقير .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لكننا أحياناً كثيرة نسمعهم يقولون في تصغير (هنة) (هنيهة) بالهاء بعد ياء التصغير و يريدون بها الحصة القليلة من الزمان ·

فمن اين جاءت هذه الهاء مع ان (هنيهة) تصغير (هنة) واصل (هنة) (هنو) ؟ جاءت من توهمهم في تاء (هنة) المربوطة انها هاء أصلية لكثرة مايقفون على تاء (هنة) بالهاء فيقولون (هنه هنه) · وهذا كما مر في سنة (مجلد ٥ صفحة ٢١٠) اذ هم جمعوها على (سنوات) كماهوالاصل — و (سنهات) بناءً على توهمهم اصالة الهاء في (سنه) ·

(٤٩) : (اختار من القوم زيداً — واختار القومَ زيداً) ويمكن ان نعدّ من (قاعدة التوهم) قولهم في فصيح الكلام اختار القوم زيداً بنصب (القوم) بمعنى اختار من القوم زيداً ومنه الآية الكريمة (واختار موسى قومه سبعين رجلاً) اي (من قومه) لان فعل (اختار) ينصب مفعولاً واحداً ويتعدى الى مفعوله الثاني بحرف الجر (من) وقد تحذف (من) من مفعوله كما في الآية وغيرها من فصيح كلام العرب ·

فلما ذا حذفت من ؟

علماء النحو يختصرون الجواب للطالب ويقولون انها حذفت بناءً على نزع الخافض فتقدير الآية (واختار موسى من قومه سبعين رجلاً) · ولكن علماء اللغة سلكوا في تعليل الحذف طريقاً آخر : فقال ابو العباس (ثعلب) انما جاز حذف من لأن فعل (اختار) يدل على التبعيض ولذلك حذفت (من) · يعني الاستغناء عنها وعدم إطالة الكلام بوجودها · اما صاحب التاج فعلل حذف (من) بعد فعل (اختار) بقوله « انه مأخوذ من قولك هؤلاء خير القوم وخير من القوم فلما جازت الإضافة بمكان (من) ولم يتغير المعنى استجازوا ان يقولوا اخترتكم رجلاً واخترت منكم رجلاً اه · أليس في عبارته هذه مايشعر بمراعاة قاعدة التوهم ؟

فكلمة (خير) أصلها (أخير) أفعل تفضيل وهي تارة تذكر بعدها من التفضيلة فيقال زيد خير من القوم وتارة يل كثيراً ماتحذف (من) ويقال (زيد خير القوم) (زيد خير الرجال) (زيد خير بني أبيه) الخ · وان حذف (من) بعد (خير) جعل العرب يتوهمون لزوم حذفها حتى بعد الفعل الذي اشتق من (خير) وهو (اختار) فجعلوا يقولون اخترت زيداً الرجال ومن الرجال واخترت قومي رجلين ومن قومي رجلين وجعل الفرزدق يقول :

(ومنا الذي اختير الرجالَ سماحة وجوداً اذا هب الرياح الزعازع)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اي (من الرجال) . فحذف (من) بقع في فصيح الكلام . ولا أدل على فصاحته من طبع الآية القرآنية على غراره .

(٥٠) : (سيّد . سَيْد . أسياد) الكلمات السابقة صرح اللغويون او أشاروا الى انها خالفت القياس بناء على قاعدة التوهم . ولدي كلمة أريد ان أعرضها على القراء ثم أطبقها على قاعدتي في التوهم . وهي كلمة جارية في لغة تخاطبنا كثيراً أعني كلمة (أسياد) جمع (سيّد) وانما المعروف والمشهور ان (سيّد) بتشديد الياء تجمع على سادة وسادات وسيايد أما (أسياد) فقد انكرها العلامة البازجي ولم يذكرها الا صاحب أقرب الموارد . وقد اشتبهوا بهذا الجمع واكثروا من التساؤل عن صحته حتى عدّوه من (عثرات الاقلام) بل من عثرات (أقرب الموارد) وانا أرى جوازه بناء على توهم أصالة الحرف . وبيانه ان الوصف من ساد يسود (سيّد) بتشديد الياء وأصله (سيود) على وزن (فيعل) بزيادة ياء قبل عين الفعل ثم أعلّ . فهو كميّت المشددة ولا يخفى انه يقال في (ميّت) (ميْت) بالتخفيف فكذلك يقال في (سيّد) المشددة (سيد) بالتخفيف . جاء في المزهر (جزء ٢ صفحة ١٧٣) نقلاً عن الصحاح يقال في سيّد سيْد بالتخفيف كما يقال في هين هين ولين لين وميّت ميت الخ . وهنا يقال : أية الياءين التي حذفت من (سيّد) ؟ الياء الاولى الزائدة اما الياء الثانية المنقلبة عن الواو التي هي من بنية الكلمة ؟ والجواب ان المحذوف هو الياء الزائدة لأن الحذف بها ألبق و ينبغي ان يكون اليها أسبق : بدليل انهم جمعوا (ميت) المخفف على (أموات) بالواو والجمع يرد الاشياء الى اصولها فهو هنا رد الياء الى واو لأنها عين الكلمة فقيل (أموات) لا (أميات) .

حسن ! ! ولكن لماذا لم يجمعوا (سَيْد) المخففة على أسواد بالواو كما جمعوا ميت على أموات وكلاهما واوي العين . والجواب ان كلمة (سَيْد) المخففة كثر استعمالها وتداولها على افواهنا حتى اضطررنا ان نخففها تخفيفاً ثانياً بكسر سينها فنقول (سِيْدي) مكان (سَيْدي) لاسيما إخواننا المغاربة الذين يكثرون من قول سيدي عبد الكبير سيدي بن زرّوق سيدي جنون الخ الخ — كل هذا جعلنا نتوهم ان الياء في (سَيْد) اصلية لا منقلبة عن واو ومن ثم قلنا في جمعها (اسياد) لا (اسواد) وهذا كما مرّ في لفظ (قَيْل) الذي يطلق على أمراء اليمن واصله (قيول) بالواو فجمعوه على (أقيال) بالياء توهماً ان ياء (قيل) — المستعملة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كثيراً — اصلية · راجع ماقلناه عن(اقيال) في(مجلد ١٠ صفحة ١٣٣) والحاصل ان المعاجم وان لم تصرح بان(سيّد) تجمع على أسياد لكن ار بابها صرحوا بانها تخفّف · وهذا التخفيف يجعلها (كميت) المخففة · و(ميت) المخففة تجمع على أموات فكان الظاهر ان تجمع (سيّد) المخففة على (اسواد) مثلها · لكننا نحن المتأخرين من ابناء الضاد انجذبنا بنابل من طبعنا الى جمعها على (اسياد) بالياء بناءً على توهم اصالتها في (سيد) المفرد ·

(تتمة) نشر القسّ عبد المسيح زهر في مجلة المشرق (سنة ٢٦ صفحة ٦٧٢) مقالاً ضمنه كلمات لم تذكرها المعاجم مع انها وردت في فصيح كلام العرب من ذلك كلمة اسياد جمع سيّد فقال القس انها وردت في شعر النمر بن تولب :

(ابقى الحوادث والايام من نمر اسياد سيف كريم أثره بادي)

وعندي ان كلمة (اسياد) في هذا البيت محرفة لان قوله (من نمر) يريد نفسه فهو يقول ان حوادث الدهر لم تبق منه سوى (اسياد سيف كريم) فما معنى اسياد سيف اي اشراف سيف ؟ واري انها محرفة عن(اسباد) بالباء الموحدة بمعنى بقايا : فان (السبد) كالكشف البقية من الكلاء و بارض بني فلان (اسباد) اي بقايا من النبت · ونقل اسباد من معنى بقايا النبت الى بقايا السيف له نظائر في كلامهم · او ان(اسياد) محرفة عن (اسيار) جمع (سير) بالراء وهو القدة من جلد و يكون اراد بالاسيار حمائل السيف · ومهما يكن فبيت نمر ليس بالشاهد القطعي الدلالة فيما أظن ·

« المغربي »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تحقيق الجاحظ (١)

- ٤ -

« الاستعانة بالعقل »

تجربة وعيان وسماع : هذه اصول الجاحظ في تحقيق الأخبار ، وأريد بالاخبار في هذا المقام أخبار العلم وخاصة علم الحيوان فقد استكمل الجاحظ كثيراً من صفات العالم : جرّب وعاين وسمع ولهذه الاصول شأن عظيم في علوم الطبيعة وبلغ من هذا الشأن أنهم عابوا بعض علماء الطبيعة بزهدهم في التجربة والعيان فعابوا مثلاً العالم (بوفون) ببعض كتبه في نشوء الارض وفي أدوار الطبيعة فقالوا فيه : وصف كثيراً وعاين قليلاً (٢) .

فالجاحظ لم يفته فضل العيان والتجربة وان فاته في بعض الأحوال روح الترتيب في الذي عاينه أو جرّب عليه ، او فاته خيالُ العالم ، وأعني بهذا الخيال قدرة العالم على التعميم وعلى الحزر والحدس لاستنباط القوانين العامة ، او فاته التمكن من انشاء المقاييس العلمية فقد نجد كثيراً من معارفه مبعثرة لايجمعها نظام واحد .

وكما جرّب وعاين فقد سمع وكان في معرفة السماع شديد التثبت والتوثق .

ولقد ضمّ الى هذه المذاهب كلها ، الى التجربة والعيان والسماع مذهباً آخر وهو العقل ، فقد جعل العقل دليله في مجامع اموره ، فما كان يصدّق الا ما تثبته الأدلة ويحققه الامتحان فالعقل في نظره انما هو الحجة في حكم الامور .

فلننظر في مجلسنا هذا في طائفة من خصائص عقله قد نهتدي اليها في أبواب كثيرة

---

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي شرع في المحاضرة بها في كلية الأدب في دمشق من تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ .

(٢) ادب القرن الثامن عشر (اميل فاكه ص ٤٣١) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من أبواب الحيوان كالكلام على بعض عجائب الحيوان او على طول عمر البغل وأعمار ذكورة العصافير او على ابتلاع السمكة للطعم او على وضع النمرة ولدها وهو متطوق بافعى او على القاح الثور او على الضفادع او على الخلق المركب او على الأفاعي او على ولد الكركدن او على خلق السنانير والخنازير او على تعاون الذر او على غير ذلك من الامور التي قد يطول استقصاؤها .

فاذا أردنا ان نعرف خصائص هذا العقل في التحقيق لزمنا ان ننظر الى بعض مواطن من المواطن التي يظهر فيها تصرف العقل ومقدار نفاذه ، وأظن اننا اذا بحثنا عن اشياء يسيرة من طبيعة نقده العلمي او من طبيعة شكه في بعض امور العلم او من طبيعة تنقيبه عن علة هذه الامور استطعنا أن نحيط بناحية من نواحي عقله .

اما طبيعة نقد الجاحظ في أبواب العلم فالذي يعنينا من أمرها انما هو الوقوف على الامور التي وطّن نفسه على إبطالها وردّها اوالوقوف على الامور التي كان يعيب بها عالماً من العلماء ، فهل كان يقرع الحجة باشباهها ام كان يرد قولاً من الأقوال مقتصراً على مجرّد الرد وهل كان يجسر على نقد العلماء دون التقيد بشيء ومن هم العلماء الذين نقدهم .

واما طبيعة الشك فالذي يهمنا من شأنها ان نعرف أيميل الجاحظ الى الشك ، أيشك في الامور وصولاً الى اليقين ام يشك فيها للشك وحده ، واذا شك في امر فهل يبين الأسباب التي من أجلها يبطل هذا الأمر في نظره ، ام انه يشك في هذا الأمر دون بيان شيء من هذه الاسباب .

واما طبيعة تنقيبه عن علة من العلل فالذي يشغلنا منها انما هو مقدار تصرف عقله في هذا التنقيب ومبلغ نفاذ هذا العقل .

فلنتفرغ قبل كل شيء للكلام على نقده العلمي ، ما الذي كان يشغل بال الجاحظ في هذا النقد ، هل كان يجسر على التكذيب في كل حين ، من هم العلماء الذين نقدهم .

همّ الجاحظ الأبعدُ عرض الامور على التصحيح والتمييز فقد كان مولعاً بالتنبيه على الخرافات سواء أكانت هذه الخرافات في أبواب العلم أم كانت في ابواب الدين فهو كثير التنديد بعبث الامور وممنعها فاذا أصاب فرصة في التحذير من توليد الكذابين ومن غرائب الاخبار حذّر بقدر ما أوتيه من حكمة وبيان ، فان الذي لا يصدق الا ما تثبته الأدلة ويحققه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العيان والتجربة والسماع قد يصعب عليه ان يجعل مجال الخرافات ذا سعة فمن قوله في هذا المعنى[١] :

« وقد ابتلينا بضربين من الناس ودعواهما كبيرة ، احدهما يبلغ من حبه للغريب ان يجعل سمعه هدفاً لتوليد الكذابين وقلبه قراراً لغرائب الزور ولكلفه بالغريب وشغفه بالطُرَف لا يقف على التصحيح والتمييز فهو يدخل الغث في السمين والممكن في الممتنع ويتعلق بادنى سبب ثم يدفع عنه كل الدفع ، والصنف الآخر وهو ان بعضهم يرى ان ذلك لا يكون منه عند من يسمعه يتكلم الا من خاف التقذر من الكذب ...

فالجاحظ كما يتبين لكم من هذا الكلام يكره غرائب الاخبار مما لا يحققه العقل . ومن هذه الغرائب التي تجرّد لردها والتحذير منها كلامهم على بعض الخلق المركب فقد قال[٢] :

« وقالوا في الخلق المركب ضروباً من الحق والباطل ومن الصدق والكذب .... وزعم حريث انه كان بأبْدجَ فاذا سحابة ضحياء تكاد تمس الارض وتكاد تمس قمم رؤوسهم وانهم سمعوا فيها كأصوات المجانيق وكهدير الفحول في الأشوال ثم انها دفعت باشد مطر رؤي او سمع به حتى استسلموا للغرق ثم اندفعت بالضفادع العظام ثم اندفعت بالشبابيط السمان الخزال فطبخوا واشتووا وملحوا وادخروا » .

وقال في مقام آخر شبه هذا الكلام[٣] :

« وفيها اعجوبة أخرى وذلك انا نجد من كبارها وصغارها الذي لا يحصى في غب المطر اذا كان المطر ديمة ولم نجدها في المواضع التي ليس بقربها بحر ولا نهر ولا حوض ولا غدير ولا واد ولا بئر ونجدها في الضحاضح الأمالس وفوق ظهور مساجد الجماعة حتى زعم كثير من المتكلفين ومن اهل الجسارة وممن لا يحتفل بسوء الحال عند العلماء ولا يكترث للشك انها كانت في السحاب ولذلك طمع اكثر الكذابين ممن نكره اسمه فذكر ان اهل

---

(١) كتاب الحيوان (الجزء الرابع ص٥٨) .
(٢) » » » الاول ص ٦٨) .
(٣) » » » الخامس ص١٥٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أيدّج مطروا اكبرشبابيط في الارض وأسمنها وأعظمها وانما تلك الضفادع شيء يخلق في تلك الحال بمزاوجة الزمان وتلك المطرة وتلك الارض وذلك الهواء والضفادع من الخلق الذي لاعظام له ويزعم اصحاب الغرائب ان العلاجيم منها المذكورة السود ويقال أرشح من ضفدع وتزعم الاعراب ان الضفدع كان ذاذنب وان الضب سلبه إياه وذلك في خرافة من خرافات الأعراب ولا يكون ذلك حتى يجمع بين الاروى والنعام وحتى يجمع بين الماء والنار وحتى يشيب الغراب وحتى تقع السماء على الارض » .

يستخرج مما تقدم ان الذي يشغل بال الجاحظ انما هو التنبيه على الكذابين وعلى غرائب الأخبار الا انه قد لا يكلف نفسه في بعض هذا التنبيه المجيء بالبرهان وكأنما رأى ان تكذيب هذه الأعاجيب انما هو معلوم في بدائه العقول فلا يحتاج الى شيء من البراهين .

وقد يظهر لنا ان حرية النقد كانت ضيقة المذاهب في بعض الاحايين فكان الجاحظ يشير الى الأجناس العجيبة من الأقوال دون ان يجسر في كتبه على تكذيب العلماء ودرّاس الكتب او على تسميتهم من هذا النحو قوله [1] :

« والعوام تضرب المثل في الشدة والقوة بالكركدن وتزعم انه ربما نطح الفيل فرفعه بقرنه الواحد الذي في وسط جبهته فلا يشعر بمكانه ولا يحس به حتى ينقطع على الأيام وهذا القول بالخرافة أشبه ، وأعجب من القول في ولد الكركدن ما يخبرنا به ناس من اهل النظر والأدب وقراءة الكتب وذلك انهم يزعمون ان النمرة لا تضع ولدها ابداً الا وهو متطوق بافعى وانها تعبش وتنهش الا انها لا تقتل ولو كنت اجسر في كتبي على تكذيب العلماء ودرّاس الكتب لبدأت بصاحب هذا الخبر وليس هذا عندي كزعمهم ان الأفعى تلد وتبيض لأن تأويل الأفعى ينفصل ببيضها فاذا طرقت بالبيض تلون فحطمته في جوفها ثم ترمي بتلك القشور والحراشي اولاً فأولاً ولا بد لكل ذات حمل ان تلقي مشيمتها » .

او قوله في موطن آخر في خرافة من الخرافات وهو لم يسم صاحب هذه الخرافة [2] :

« ومما لا اكتبه لك من الأجناس العجيبة التي لا يجسر عليها الآكل وقاح أخبار بعض العلماء وبعض من يؤلف الكتب يقرأها ويدارس اهل البصرة ويتحفظها زعموا ان

(١) كتاب الحيوان (الجزء السابع ص ٤٢) .

(٢) » » » » ص ٤٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الضبع يكون عاماً ذكراً وعاماً أنثى وسمعت هذا من جماعة منهم من لا استجيز تسميته ، قال الفضل بن اسحق : انا رأيت الفنص والبلوط في غصن واحد ، قال : ومن الفنص مايكون مثل الاكر وقد خبرني بذلك غيره وهو يشبه تحول الانثى ذكراً والذكر أنثى وقد ذكرت العرب في اشعارها الضباع والذئاب والسبع والعسبار وجميع الوحوش والحشرات والاجناس وهم اخبر الخلق بشأن الضبع فكيف تركت ماهو اعجب واظرف وقد ذكرت العلماء الضباع في مواضع من الفتيا لم نر احداً ذكر ذلك واولئك باعيانهم هم الذين يزعمون ان النمر تضع في مشيمة واحدة جروا وفي عنقه افعى قد تطوقت به واذا لم يأتنا في تحقيق الاخبار شعر شائع او خبر مستفيض لم نلتفت اليه » .

على انه قد تعرض لجماعة فسماهم وجسر على تكذيبهم فقد قال [1] :

« ورووا عن ابي وائلة انه زعم ان من الدليل على ان الشبوط كالبغل ان الناس لم يجدوا في طول ما اكلوا من الشبابيط بيضاً قط فان كان هذا الخبر عن هذا الرجل المذكور بشدة العقل ، المنعوت بثقوب الفراسة ودقة الفطنة صحيحاً فما اعظم المصيبة علينا فيه ، وما اخلق الخبر ان يكون صحيحاً وذلك اني سمعت له كلاماً كثيراً من تصنيف الحيوان واقسام الاجناس يدل على ان الرجل حين أحسن في اشياء وهمته العجب بنفسه انه لا يروم شيئاً فيمتنع عليه وغرّه من نفسه الذي غرّ الخليل بن احمد حين احسن في النحو والعروض فظن انه يحسن الكلام وتأليف اللحون فكتب فيهما كتابين لا يشير بهما ولا يدل عليهما الا المرّة المحترقة ولا يؤدي الى مثل ذلك الا خذلان من الله تعالى فان الله عز وجل لا يعجزه شيء » .

الا ان الذي تعرّض له كثيراً في كتابه انما هو ارسطاطاليس فقد عاب عليه اموراً كثيرة منها انه لم يبن في تحقيقه على الاصول التي بنى عليها الجاحظ نفسه ، اي لم يثبت اموره بالعيان او بمعرفة السماع ، من هذا النحو قوله [2] :

« وزعم صاحب المنطق في كتاب الحيوان فيما سلف من الدهر ان ثوراً سفد والقح من ساعته بعد ان خصي .

فاذا افرط المادح في المديح وخرج من المقدار وافرط المتعجب في التعجب وخرج من

(١) كتاب الحيوان (الجزء الاول صفحة ٦٨) .

(٢) » » » الخامس » ٧٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المقدار احتاج صاحبه الى ان يثبته بالعيان او بالخبر الذي لم يكذب مثله والا فقد تعرّض للتكذيب ولو جعلوا حركتهم خبراً وحكاية ونبروا عن عينه ماضرهم ذلك فكان ذلك أصون لأقدارهم واتم لمروآت كتبهم » .

او قوله في موطن آخر (١) :

« وفي المثل : أغلم من تيس بني حمّان وحمّان تزعم انه فقط سبعين عنزاً وقد فربت أوداجه فهذا من الكذب الذي يدخل في باب الخرافة .

وقد ذكر صاحب المنطق انه قد ابصر ثوراً وثب بعد ان خصي فنزا على بقرة فأحبلها ولم نجد هذا من معاينة ، والصدور تضيق بالرد على اصحاب النظر وتضيق بتصديق هذا الشكل » .

او قوله (٢) :

« واما قول صاحب المنطق في ان الضفادع لاتنق حتى تدخل فكها الاسفل في الماء لان الصوت لايجيئها حتى يكون في فيها ماء فقد قال ذلك ووافقه عليه ناس من العلماء وادعوا في ذلك العيان وانما زعمه بان السمكة لا تبتلع شيئاً من الطعم الا ببعض الماء فأي عيان دل على هذا وهذا عسير » .

او قوله (٣) :

« وقد سمعنا ما قال صاحب المنطق من قبل وما يليق بمثله ان يخلّد على نفسه في الكتب شهادات لايحققها الامتحان ولا يعرف صدقها أشباهه من العلماء وما عندنا في معرفة ماادّعى الى هذا القول » .

ولم يقتصر الجاحظ على مؤاخذة ارسطاطاليس بانه لم يعتمد في تحقيقه على العيان والسماع والامتحان وانما عاب عليه في بعض الأحوال انه اذا تكلم على حيوان فانه لا يستوفي عجائب هذا الحيوان ، من هذا كلامه على الفيل (٤) :

(١) كتاب الحيوان الجزء الخامس الصفحة ١٧٤ .
(٢) » » » » » ١٥٦ .
(٣) » » » الاول » ٨٧ .
(٤) » » » السابع » ٧٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« وما أعجب ماقرأت لصاحب الحيوان في كتاب المنطق وجدته وقد ذكر قصر عنقه ولم يذكر انقلاب لسانه وذلك اعجب مافيه ولم ينظر في كم يضع ولا مقدار مدة حمله وكيف يخرج من بطن أمه نابت الاسنان » .

وأحياناً كان يتعرض له فيقف في تعرضه موقفاً وسطاً دون دفع الخبر او قبوله كقوله [1] :

« وذكر صاحب المنطق ان الطير الكبير الذي يسمى باليونانية (اعتيوليس) يحكم عشه ويتقنه ويجعله مستديراً مداخلاً كأنه كرة ورووا انهم يزعمون ان هذا الطائر يجلب الدارصيني من موضعه فيفرش له عشه ولا يعشش الا في اعالي الشجر المرتفعة المواضع ، قال وربما عمد الناس الى سهام فيشدون بها رصاصاً ثم يرمون بها أعشاشها فيسقط عليهم الدارصيني فيلتقطونه و يأخذونه ...

ولست أدفع خبر صاحب المنطق عن خبر صاحب الدارصيني وان كنت لا اعرف الوجه في ان طائراً ينهض من وكره في الجبال او بفارس او باليمن فيؤم ويعمد نحو بلاد الدارصيني وهو لم يجاوز موضعه ولا قرب منه ، وليس يخلو هذا الطائر من ان يكون من الاوابد وان كان من القواطع فكيف يقطع الصحصحان الأملس وبطون الاودية وأهضاب الجبال بالتدويم في الاجواء و بالمضي على السمت لطلب ما لم يره ولم يذقه ، وأخرى فانه لا يجلب منه بمنقاره ورجليه ما يصير فراشاً له ومهاداً الا بالاختلاف الطويل وليس بالوطيء الوثير ولا هو بطعام فأنا وان كنت لا أعرف العلة فلست انكر الامور من هذه الجهة » .

وقد تعرض لغير ارسطاطاليس فتعرض لابي زيد النحوي وحشره في جملة علماء السوء فعابهم بانهم لم يكونوا في تحقيقهم من حذاق المتكلمين كقوله [2] :

« وأما الذين ذكروا في أشعارهم السبع والعسبار فليس في ظاهر كلامهم دليل على ما ادعي عليهم الناس من هذا التركيب المختلف فأدينا الذي قالوا وامسكنا عن الشهادة اذ لم نجد عليها برهاناً .

(١) كتاب الحيوان الجزء الثالث الصفحة ١٦٢ .
(٢) » » » الاول » ٨٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وللناس في هذا الضرب ضروب من الدعوى وعلماء السوء يظهرون تجويزها وتحقيقها ، كالذي يدعون من اولاد السعالى من الناس كما ذكروا عن عمرو بن يربوع وكما يروي ابوزيد النحوي عن السعلاة التي أقامت في بني تميم حتى ولدت فيهم فلما رأت برقاً يلمع من شق بلاد السعالى حنت وطارت اليهم فقال شاعرهم :

رأى برقا فأوضع فوق بكر فلا يأمًا اسأل وما اغاما

وأنشدني أن الجن طرقوا بعضهم فقال :

أتوا ناري فقلت منون انتم فقالوا : الجن ، قلت عموا ظلاما

فقلت الى الطعام فقال منهم زعيم : نحسد الانس الطعاما

ولم أعب الرواية وانما عبت الايمان بها والتوكيد لمعانيها فما اكثر من يروي هذا الضرب على التعجب منه وعلى ان يجعل الرواية سبباً لتعريف الناس حق ذلك من باطله وابو زيد واشباهه مأمونون على الناس الا ان كل من لم يكن متكلماً حاذقاً وكان عند العلماء قدوة واماماً فما اقرب إفساده لهم من إفساد المتعمد لإفسادهم » .

وكان في بعض نقده يعيب طائفة من الناس بوضعهم الموجب من الامور موضع المقرّب منها ، و بانزال الدليل منزلة شبه الدليل كقوله (١) :

« والذين زعموا ان ذكورتها لا تعيش الا سنة يحتاجون الى ان يعرّفوا الناس ذلك وكيف يستطيعون تعريفهم ذلك وقد تكون القرى بقرب المزارع والميازب مملوءة عصافير ومملوءة من بيضها وفراخها وهم مع ذلك لم يروا عصفوراً قط ميتاً » .

والذين زعموا ان البغل انما طال عمره لقلة السفاد والعصفور انما قصر عمره لكثرة السفاد وغلطه لو قالوا بذلك على جهة الظن والتقريب لم يلمهم احد من العلماء والامور المقربة غير الامور الموجبة فينبغي ان يعرفوا فضل ما بين الواجب والمقرب وفرق ما بين الدليل ومشبه الدليل ولعل طول عمر البغل يكون للذي قالوا ولشيء آخر وليس ينبغي ان نجزم على هذه العلة فقط » .

هذه جملة القول في نقده والذي يستخلص من هذا النقد ان الجاحظ لجأ اليه للتنبيه على مواطن الزور في ابواب العلم مما لا يحققه العقل فكأن الجاحظ يقول :

(١) كتاب الحيوان الجزء الخامس الصفحة ٧١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا اصدق من الامور الا ما كان واضحاً وهذه خطة (ديكارت) نفسه كما علمتم ذلك .

ولم ينقد الجاحظ للنقد وحده ، انه أجلّ من ذلك وانما نقد وصولاً الى الحقائق فكان مرة يدل على الخرافات ويحذّر منها ومرة يشير الى مزلات أقدام بعض العلماء كما أشار الى إعراض ارسطاطاليس عن استعمال التجربة والعيان والسماع في بعض مباحثه العلمية و كما عاب اباز يد النحوي بانه لم يكن من حذّاق المتكلمين .

وقد كان في بعض نقده يستغني عن الإتيان بالبرهان لان من الامور التي نبّه على بطلانها مايقبله العقل دون برهان .

فغاية الجاحظ في نقده العلمي الوصول الى الحقيقة والحقيقة ضالّة العالِم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تحقيق الجاحظ

— ٥ —

« الاستعانة بالعقل »

—«»—

ومن المواطن التي يظهر فيها مقدار دقة فطنته وثقوب عقله موطن الشك فما تنسى قوله في صدر كلامنا على تحقيقه :

« ولا يعجبني الاقرار بهذا الخبر وكذلك لا يعجبني الانكار له ولكن ليكن قلبك الى انكاره أميلَ وبعد هذا فاعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة لها لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له » .

وهذا الشك قريب من شك (ديكارت) الذي كنت اشرت اليه فقد كنت ذكرت لكم ان (ديكارت) يشك في كل شيء وقد تكون الحياة في نظره حلماً من الاحلام ولكن شكه هذه لا يشبه شك غيره من الفلاسفة فهو يشك في كل شيء ، فقد يفرض ان العالم لا حقيقة له على أمل ان يصل الى حقائق يثبتها البرهان فالشك في مذهبه سبيل الى اليقين .

فاذا قابلنا بين هذين الرأيين : بين رأي الجاحظ وبين رأي (ديكارت) وجدنا فيهما بعض التقارب فالجاحظ يقول : اعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة لها لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له : معنى هذا كله : اعرف الشك لتعرف به اليقين فالشك في نظره سبيل الى اليقين فهو لا يشك في الامور من اجل الشك وحده وانما يشك فيها حتى يصل الى يقين قاهر وكذلك (ديكارت) فانه لا يشك في الامور من اجل الشك وحده وانما يشك فيها على امل ان يصل الى حقائق يثبتها البرهان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
w-w w . a l u k a h . n e t
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكيف يلجأ الجاحظ الى مجرد الشك وهو الذي يقول [١] :

« واعلم ان من عوّد قلبه التشكك اعتراه الضعف » .

فلننظر بعد هذا في أنماط من أقاويله التي ظهرت عليها آثار الشك كالكلام على رؤوس الحيات او كالكلام على لعاب الافاعي او كالكلام على سلامة الفراريج على الافاعي او كالكلام على خلق الفار او كالكلام على اخراج الولد رأسه من بطن أمه .

فمرة كان يشك في الامر و ينفيه لان العلم لايحققه . ومرة كان يشك فيه و يبين السبب الذي من اجله استفاض هذا الامر . وحيناً كان يشك فيه من دون ان يحاول نفيه بالحجة او يوضح علة من علل شيوعه وحيناً كان يشك فيه فيحار في امره حيرة قد لا يجد لنفسه مخرجاً منها ثم يجد هذا المخرج فيرد الامر لانه لم يثبته ظاهر العيان او متظاهر الاخبار .

فمن المواضع التي ظهر شكه فيها قوله [٢] :

وزعم بعض المفسرين ان السنور خلق من عطسة الاسد وان الخنزير خلق من عطسة الفيل لان اصحاب التفسير يزعمون ان اهل سفينة نوح لما تأذوا من كثرة الفار وشكوا سأل ربه الفرج فأمره ان يأمر الأسد فيعطس فلما عطس خرج من منخريه زوج سنانير من ذكر وأنثى خرج الذكر من المنخر الأيمن والانثى من المنخر الايسر فكفاهم مؤنة الجرذان ، ولما تأذوا برائحة نجوهم شكوا ذلك الى نوح فشكى الى الله تبارك وتعالى فأمر ان يأمر الفيل فيسلح فسلح خنازير فكفوهم مؤنة رائحة ذلك النجو .

وهذا الحديث نافق عند العوام وعند بعض القصاص وقد انكرنا ان يكون الفار تخلق الا في ارحام أناثها من اصلاب ذكورها » .

فالجاحظ ينكر خلق الفار الا في ارحام أناثها من اصلاب ذكورها و يشك في ضد هذا الامر لان العلم لا يؤيده .

ومن هذه المواضع التي ظهرت فيها آثار الشك قوله [٣] :

(١) رسائل الجاحظ على هامش كامل المبرد (الجزء الثاني الصفحة ٨٤) .

(٢) كتاب الحيوان الجزء الخامس الصفحة ١٠٦ .

(٣) » » » الرابع » ٥٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« وقد زعم صاحب المنطق انه قد ظهرت حية لها رأسان فسألت أعرابياً عن ذلك فزعم ان ذلك حق فقلت له : فمن اين جهة الرأسين تسعى ومن ايهما تأكل وتعض فقال : فأما السعي فلا تسعى ولكنها تسعى الى حاجتها بالتقلب كما يتقلب الصبيان على الرمل واما الاكل فانها لتمشي بفم وتتغدى بفم واما العض فانها تعض برأسيها معاً فاذا به اكذب البرية .

وهذه الاحاديث كلها مما يزيد في الرعب منها وفي التهويل امرها ... »

فبعد ان شك الجاحظ في ان يكون للحية رأسان أخذ يقلب النظر في استفاضة هذا الخبر فوجد ان العلة في ذلك الرعب والتهويل .

وبين هذه المواضع قوله [1] :

« وزعم احمد بن غالب قال : باعني حوّاء ثلاثين افعى بدينارين واهدى الي خمساً اصطادها من قبالة القلب في تلك الصحاري على شاطئ دجلة قال : واردتها للترياق فقال لي حين جاءني بها : قل لي من يعالجها ، فقلت فلان الصيدلاني ، فقال : ليس عن هذا سألتك قل لي : من يذبحها ويسلخها قال : قلت هذا الصيدلاني بعينه ، قال : اخاف ان يكون مغروراً من نفسه ، انه والله ان اخطأ موضع المفصل من قفاها وحركته اسرع من البرق فان كان لايحسن ولا يدري كيف يتغفله فيقره نقرة لم يفلح بعدها ابداً ولكني سأتطوع لك بان اعمل ذلك بين يديه قال فبعثت اليه وكان رأسه الحونة فيغفل الواحدة فيقبض على قفاها باسرع من الطرف ثم يذبحها فاذا ذبحها سال من افواهها لعاب ابيض فيقول : هذا هو السم الذي يقتل ، قال : فجالت يده جولة وقطرت من ذلك اللعاب قطرة من طرف قميص الصيدلاني قال : فتفشى ذلك القاطر حتى صار في قدر الدرهم العظيم ثم ان الحواء امتحن ذلك الموضع فتهافت في يده وبقيت الافاعي مذبوحة في الطست يكد بعضها بعضاً حتى امسينا ، قال : وبكرت على ابي رجاء الى باب الجسر أحدثه بالحديث فقال لي : وددت اني رأيت موضع القطرة في قميص الصيدلاني ، قال : فوالله ما رمت حتى مرّ معي الى الصيدلاني فأريته موضعه . واصحابنا يزعمون ان لعاب

(١) كتاب الحيوان الجزء الرابع الصفحة ٣٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
- www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأفاعي لا يعمل في الدم الا ان احمد بن المثنى زعم ان من الافاعي جنساً لا يضر الفراريج من بين الاشياء .

ولا ادري اسمع الخبر بن ابعد ، اخبر ابن غالب في تفسيخ الثوب او خبر ابن المثنى في سلامة الفروج على الافعى » .

فهنا يتبين لكم ان الجاحظ اكتفى بانكار الخبر دون ان يبين سبباً من الاسباب .

ومنها قوله [1] :

« وقد زعم صاحب المنطق ان ولد الفيل يخرج من بطن أمه نابت الاسنان لطول مكثه في بطنها وهذا جائز في ولد الفيل غير منكر لان جماعة نساء معروفة الآباء والابناء قد ولدن اولادهن ولهن اسنان نابتة كالذي رووا في شأن مالك بن انس ومحمد ابن عجلان وغيرهما وقد زعم ناس من اهل البصرة ان خاقان بن عبد الله بن الاهتم استوفى في بطن أمه ثلاثة عشر شهراً وقد مدح بذلك وهجي وليس ذلك بالمستنكر وان كنت لم ار قط قابلة تقر بشيء من هذا الباب وكذلك الاطباء وقد رووه كما علمت .

ولكن العجب كل العجب ماذكروا من اخراج ولد الكركدن رأسه واعتلافه ثم ادخالها بعد الشبع والبطنة ولابد اكرمك الله لما اكل من نجو فان كان بقي الولد يأكل ولا يروث فهذا عجب وان كان يروث في جوفها فهذا أعجب وانما جعلناه يروث حيث سموه حماراً وهذا مما ينبغي لنا ان نذكره في خصال الحمار اذا بلغ ذلك الباب ولا أقر ان الولد يخرج رأسه من بطن أمه حتى يأكل شبعه ثم يدخل رأسه ولست اراه محالاً ولا ممتنعاً في القدرة ولا في الطبيعة وارى جوازه مرهوباً غير مستحيل الا ان قلبي ليس بقبله وليس في كونه ظلم ولا عيب ولا خطأ ولا تقصير في شيء من الصفات المحمودة ولم نجد القرآن ينكره والاجماع يدفعه والله هو القادر دون خلقه ولست ابت بانكاره وان كان قلبي شديد الميل الى رده وهذا مما لا يعلمه الناس بالقياس ولا يعرف الا بالعيان الباهر والخبر المتظاهر » .

فالجاحظ في مثل هذا المقام يعمد الى رد الخبر لان العيان الباهر لم يثبته . هذا ما يتعلق ببعض خصائص شكه فلنلجأ الى النظر في العلل التي يجدها لأمر من الامور .

(١) كتاب الحيوان الجزء السابع الصفحة ٤٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ففي هذا النوع يتبين لنا مقدار تغلغل عقله في الأسرار ومبلغ توفيقه في الإحاطة بهذه الاسرار فلنتخب موضعاً اوموضعين من المواضع التي نستدل بها على نفوذ عقله .

مرة يشهد الامر فيدوّنه كما يدوّن عالم الطبيعة حادثة من حوادثها ثم يستنبط من هذا الأمر قانوناً عاماً يلجأ اليه كلما جدّ الكلام على الامر الذي دوّنه على نحو استنباط علماء الطبيعة القوانين العامة من الامور الصغيرة التي يجرّبونها ويعاينونها واليكم مثلاً لذلك[1]:

« وربما اكل الانسان الجراد او بعض مايثبه الجراد فتسقط من يده الواحدة اوصدر الواحدة وليس يرى بقربه ذرة ولا له بالذر عهد في ذلك المنزل فلا يلبث ان تقبل ذرة قاصدة الى تلك الجرادة فتروعها وتحاول قلبها ونقلها وجرها فاذا أعجزتها بعد ان بلغت عذراً مضت الى جحرها راجعة فلا يلبث ذلك الانسان ان يراها قد اقبلت وخلفها كالخيط الاسود الممدود حتى يتعاونّ عليها فيحملنها فأول ذلك صدق الشم لما لا يشمه الانسان الجائع ثم بعد الهمة والجرأة على محاولة نقل شيء في وزن جسمها مائة مرة واكثر من مائة مرة وليس شيء من الحيوان يقوى على حمل مايكون ضعفه مراراً غيرها وعلى انها لا ترضى باضعاف الاضعاف الا بعد انقطاع الانفاس .

فان قلت وماعلم الرجل ان التي حاولت نقل الجرادة فعجزت هي التي اخبرت صويحباتها من الذر وانها كانت على مقدمتهن ، قلنا : لطول التجربة ولانا لم نر ذرة قط حاولت نقل جرادة فعجزت عنها ثم رأيناها راجعة الاّ رأينا معها مثل ذلك وان كنا لا نفصل في العين بينها وبين اخواتها فانه ليس يقع في القلب غير الذي قلنا وعلى أننا لم نر ذرة قط حملت شيئاً او مضت الى جحرها فارغةً فتلقاها ذرة الاّ وافقتها ساعة وخبرتها بشيء فدلّ ذلك على انها في رجوعها عن الجرادة انما كانت لأشباهها كالرائد لا يكذب اهله » .

ذرة تأخذ عينها جرادة فتحاول نقلها فاذا عجزت عنها ذهبت الى أخواتها فاستعانت بهنّ على حملها . هذا هو الامر الصغير الذي عاينه الجاحظ ، من هذا الامر الذي عاينه استخرج قانوناً عاماً وهذا هو القانون : كل ذرة حاولت نقل جرادة اوغيرها فعجزت عنها استدعت صويحباتها فتعاونّ على نقل هذه الجرادة .

وقد كنت بينت لكم ان الجاحظ لم يستنبط من تجربته وعيانه وسماعه قوانين عامة ولكنه

(١) كتاب الحيوان الجزء الرابع الصفحة ٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في هذه المرة لم يقصر في استنباط القانون من الامر الصغير ولو فعل هذا الفعل في كل الامور التي جرّبها او عاينها لما نقص تجربته وعيانه شيء ولكان في هذه التجربة وهذا العيان شبه علماء هذا العصر .

ومرةً يمعن في الكشف عن غرائز الحيوان فلا يعاين حركة من حركاته كالانقياد او كالعصيان مثلاً الاّ وضّح اسرار هذه الحركة مصيباً في توضيحه شاكلة الصواب .

فمن كلامه على سلاح اصناف الحيوان[1] :

« وانما تتقرب الشاة بالمتابعة والانقياد للسبع ، تظن ان ذلك مما ينفعها فان الأسد اذا اخذ الشاة لم تتابعه ولم تعنه على نفسها فربما اضطر الاسد الى ان يجرها الى عرينه ، واذا اخذها الذئب عدت معه حتى لا يكون عليه فيها مؤنة وهو انما يريد ان يحميها عن الراعي والكلب وان لم يكن في ذلك الوقت هناك كلب ولا راعٍ فيرى ان يجري على عادته ، وكذلك الدجاج اذا كنّ وقّماً على اغصان الشجر او على الرفوف فلو مرّ تحتها كلب وسنور وكل ثعلب وكل شيء يطالبها فاذا مرّ ابن آوى بقربها لم يبق منها واحدة الا رمت بنفسها اليه لأن الذئب هو المقصود به الى طباع الشاة وكذلك شأن ابن آوى والدجاج يخيل اليها ان ذلك مما ينفع عنده وللجبن تفعل كل ذلك ولمثل هذه العلة نزل المنهزم عن فرسه الجواد ليحضر ببدنه يظن اجتهاده انجى له وانه اذا كان على ظهر الفرس أفلّ كداً وان ذلك اقرب الى الهلاك ولمثل هذه العلة يتشبث الغريق بمن اراد انقاذه حتى يغرقه ويغرق نفسه وهما قبل ذلك قد سمعا بحال الغريق والمنهزم وانهما انما هما في ذلك كالرجل المعافى الذي يتعجب ممن يشرب الدواء من يد أعلم الناس به فاذا اصابته شقيقة او لسعة عقرب او اشتكى خاصرته او اصابه حُصْر او أُمْر شرب الدواء من يد اجهل الخليقة او جمع بين دواءين متضادين » .

فما انقادت الشاة للسبع او للذئب ومارمت الدجاجة بنفسها الى ابن آوى الاّ للجبن فالجاحظ يظهر لنا في هذا المقام في صورة العالم الواقف على غرائز الحيوان .

او قوله[2] :

---

(١) كتاب الحيوان الجزء السادس الصفحة ١٢٥ .

(٢) » » » » » » »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« وليس شيء من صنف الحيوان اردى حيلة عند معاينة العدو من الغنم لانها في الاصل موصولة بكفايا : الناس فأسندت اليهم في كل امر يصيبها ولولا ذلك لأخرجت لها الحاجة ضروباً من الابواب التي تعينها ... » .

* * *

هذا ماعنّ لنا من الكلام على ناحية جليلة من نواحي الجاحظ واعني بها ناحية العلم وقد احببت قبل ان انتقل الى الكلام على نواحي دينه اوتهكمه اواديه ان اجمل القول في مذاهب تحقيقه حتى تبقى صورته من هذه الجهة ماثلةً لأذهاننا قائمةً في صدورنا .

ارادت طائفة ان لاتجد في الجاحظ الا ناحية واحدة وهي ناحية الفن فمارأت في بعض كتبه وخاصة في كتاب الحيوان الاخصائص فنية وهذا الرأي ناشيء عن امرين : اما عن جهل بمذاهب التحقيق في العلم واما عن تهاون بدراسة الجاحظ من كل اطرافه فليس من المعدلة في شيء ان ننظر الى الجاحظ من ناحية واحدة وان نهمل ناحية اجل وهي ناحية العلم .

ان ماحاضرتكم به حتى اليوم من بعد التمهيد والتوطئة مما لا بدّ منه قد صوّر لكم الجاحظ في صورة العالم على مصطلح هذا العصر .

همّ العالم التنقيب عن الحقيقة وقد يذهب في هذا التنقيب مذاهب مختلفة على حسب العلم الذي ينصرف اليه وقد اخرج الجاحظ مكنونه في التنقيب عن هذه الحقيقة وأظن ان تجريبه على اصناف من الحيوان كالحيات والافاعي والخنافس والعقارب والجرذان لم يكن لمجرّد اللهو والعبث واي لهو في عيان العقارب ام اي عبث في مشاهدة الافاعي فاذا قطع الجاحظ طائفة من اعضاء الحيوان او القى عليه ضرباً من السم او ذبحه وفتّش جوفه وقانصته اودفنه في بعض النبات اوذاقه او بقج بطنه اوجمع أضداده في اناء من قوارير او القى عليه مادة من موادالكيمياء فما كان يفعل هذا واشباهه عبثاً وانما كان يرمي الى غايات بعيدة ، انه كان يرمي الى إدراك الحقيقة من ارشد مسالكها .

فمرةً كان يستعين بحواسّه على الوصول الى هذه الحقيقة فيستعين باللمس او بالذوق او بالرؤية او بالشم او بسؤال اهل المعرفة والعلم متوثقاً في كل خبر يسمعه متثبتاً في كل كلام يبلغ اليه حتى يكون على هدىً من امره وحتى يعرض هذه الحقيقة في اوضح معارضها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فلا يخامره شك فيها ، واي شك بعد العيان القاهر او الخبر المتظاهر .

ومرة كان يستعين عليها بآلة اكمل من كل آلة وهي آلة العقل .

ولقد أحكم استعمال عقله فرامى دون حياض الحقيقة حتى لا يفسدها شيء من توليد كذاب او من غرائب زور .

فحيناً كان يقف بالمرصاد لكل رجل تحدثه نفسه بخرافة من الخرافات وحيناً كان يحذر الناس من الأباطيل فيدلهم على عيوبها مقتصداً في دلالته لا شتم ولا بذاءة شأن العالم الجليل او يشككهم فيها ثم يخرجهم من ظلمة الشك الى ضياء اليقين .

وكان في بعض الأحوال يلجأ الى توضيح العلل في ابواب العلم فلا يخطئ مواطن الحق .

وفي كل مذهب من هذه المذاهب في تجربته وعيانه وسماعه ونقده وشكه وتوضيحه كان الجاحظ يطلع علينا في صورة العالم الذي يعمل عقله في البحث عن الحقيقة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الغلاظة في اللغة

-٢-

« الغليظ »

وهو غليظ وغُلاظ وغالِظ ج غَلَظَة . وعُلابط وعُلَبِط وأَعمّ وعَلَنْدى وعَلْكَدُ وعُلْكُدُ وعُلَكِد وعُلاكِد وغليذ (على الابدال) وعَبَنْجَر وعَبَنٌ وعَبَنّى وعُرابِض وقَشْبَرٌ وحُدُرٌ وأزعب وهي زَعباء ، ومسفوح ومُسَلْهَف وشثن يقال هو شَثْل الاصابع وشَثْنها ومنه قول الراجز :

اوعدني بالسجن والاداهم رجلي فرجلي شثنة المناسم

ويقال اسد شثن البراثن . وحُباجِر وحِبَنْجِر وحِبَجْر ودَخْشَم ودُخُشُمُ ودَخْشَنُ (كأنه موخوذ من الدَخَش وهو الامتلاء من اللحم) وشُنابث وشِمْدارة . ودُلَمز ودُحامِسُ (غليظ سمين) ودُماحِس وطَبْطَر ولَهُوف وكِيح (للمذكر والمؤنث ويقال اسنان كِيح اى غلاظ ونقول كِيح أكْيَح اي خشن غليظ كما يقال يوم ايوم) ومَعْدٌ ، ووَشْبٌ (وهو مأخوذ من قول العرب تمرة وَشْبة اي غليظة اللحاء) وجَرْعب وجَرْعبل وجَشيم وجَشْنٌ وجَشِمٌ وشامِيٌ (الجامىء الغليظ) وجِنعِظ وجِنعاظ (الغليظ الجافي) وجِنعيظ (غليظ أشم) وجافٍ يقال قلم جافٍ اذا كان غليظ القط ورجل جافي الخلقة وجافي الخلق اي كزّ غليظ العشرة خرق في المعاملة متحامل عند الغضب والسورة على الجليس ج جُفاة ، وعُثُلٌ وأنبَخُ وجرعيب وأعْقَف تقول جاءني اعرابي اعقف .

وجأبٌ : يقال كاهل جأب وخاتق جأب ، وجَبَل تقول فلان جبل الرأس والوجه اذا كان غليظهما قليل الحلاوة ، وجَبِل « هذا شيءٌ جَبِل اي غليظ جافٍ » وصَمَكوك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
w-w w . a l u k a h . n e t
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبَجيل وحُناكِل وأخشبُ وزِبَعْري وشِرَنْبَذ وجَحْنش ومُصَوْمِد .

والعُنْجُهُ : الجافي من الرجال ومثله القُباقِب والقُحُّ والعِتْوَلّ والعِلْب والإِزَب . ورجل غُضابُ ، غليظ الجلد . واعرابي محرَّم ، جافٍ فصيح لم يخالط الحضر . وغلام غُنْدُر وغُنْدَر اي سمين غليظ . ورجل ذو جِبْلة اي غليظ . ومُعْثَر غليظ كثير اللحم . وصِيَهْم وصِيَّهْم ، غليظ شديد ضخم . وخُزْخُز وخُزَخِز ، غليظ العضل . وقُمْدود وقُماد وقُمادي وقُمُد وقُمُدّ وقُمُدّان وقُمُدّاني ، غليظ . ونَشَزٌ ، غليظ عبل . وانه رجل ذو بُهْم اي غليظ ومثله الرجل البَكْباك . وذو جراز ، غليظ صلب . وجَهْم الوجه ، غليظه . والجهم الوجه الغليظ المجتمع السمج . والفُلُز ، الرجل الغليظ الشديد . والضُراك الغليظ الشديد عصب الخلق . والضيَّاط ، الغليظ . والعِرَبْض والعِرْباض ، الشديد الغليظ . والعِرْنة ، الجافي الكزّ وقال ابو عمرو هو الذي يخدم البيوت . والبَلْعَث ، الرجل الغليظ الجسم المسترخي . والأُمّان ، العيي الجلف الجافي القليل الكلام ومثله الأُمّيّ . والجَبْهَل ، الجافي . والجُنادِف ، الجافي الجسيم . والوَطْب ، الجافي . والعَفْشَليل ، الجافي الثقيل . والعُنْجُهيّ ، الخشن الجافي . والجِبِنّ ، الغليظ الكز . والقُنابل والقُنْبُل ، الغليظ الشديد ومثله الكُدْمة . والبَلأز ، الغلام الغليظ . والجُؤشوش ، الرجل الغليظ .

وقالوا مكان صَلَبٌ ، غليظ حجر ومثله ارض صُلْبَة . وانف مُعْرَنْزِم ، غليظ مجتمع . وحمار كَدِم ، غليظ شديد . والبَلْخَص ، الغليظ الكثير اللحم . والحِزاق ، السوار الغليظ . والخُرْشب ، الضائط الجافي . والذِفِرّة ، الحمار الغليظ . والعَدَبَّس الغليظ الضخم . والعِلْبُ ، المكان الغليظ الذي لو مُطر دهراً لم يُنْبِت . والجَباس ، الغليظ القدم . والجَبِلُ ، الغليظ جلدة الراس والعظام ج جُبُل . والجَثَلُ ، ما غلظ وقصر من الشجر — ومن الشعر ، اشد سواداً واغلظه . والجَشْب ، الغليظ من الطعام ومثله الجَشيب والمجشاب والمجشوب . والجشيب ايضاً ، الثوب الغليظ — والسقاء الغليظ الخَلَق . والمُجَعَّد من الحبس ، الغليظ .

والعُرْدُمان ، الشديد الجافي ومثله الغُضَبر والغُضابر والعَجْرَد والعَضَنَّك والعِرْباض والعُرَبِض والعُفْرُ ج أعفار وعِفار . والشَخْزَب والشُخازِب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والإِرْزَبُّ والصَّتْم والصَّبْصَبُ والصَّبْصاب والصُّباصب والكَدِم والمُكَلْمَدد والمكلندي والجُرائِض والجُرَيْض والجِراض والقَعْوس الغليظ الشديد الظهر من كل شيء وقالوا ناقة عَجرَد وعجرَّدة اي غليظة شديدة وكذا قدم موقوعة وجمل بلنزي وجلنزي .

(الرقبة) والعُرْدُمان ايضاً الغليظ الرقبة ومثله الرَّقَبان والرقباني والأرقب ومنه سمي الاسد ارقب وذلك من الرَّقَب وهو غلظ الرقبة . والفُرانِس والفِرناس والحَبَرْكي والقِسْوز (الغليظ الرقبة القوي) .

(الجنب) والأعكى ، الغليظ الجنبين وهي عكواء . والمُجَرْأِش ، الغليظ الجنب الجافي .

(الانف) والأعبّ ، الغليظ الانف .

(الجلد) والدبكل ، الغليظ الجلد السمج . والجبهل ، الغليظ الجلدة الراس والعظام .

(السمين) والدُحْسان والدُحْساني ، الرجل الشديد السمرة الغليظ السمين . والدُحامس ، الغليظ السمين . والهَمِرُ ، الرجل الغليظ السمين . وقد اغتال الغلام اغتيالاً اذا سمن وغلظ . واوكمت القدم ايكاعاً ، سمنت وغلظت واشتدت . وحَدُر الغلام ، كان حادراً اي سميناً غليظا .

« للبحث صلة »

(النبك) سالم خليل رزق

—«×»—

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

آراء وافكار

تعرف اخبار الناس

« وحب الاطلاع عليها »

جاء في كتاب (التراتيب الادارية) ان النبي صلى الله عليه وسلم « كان يسأل الناس عما في الناس » وليس هذا من التجسس المنهي عنه في الشرع ، وانما الغرض منه معرفة الخير والإحسان فيُزداد منهما ومعرفة الشر والإساءة فيحترز منهما ويحتاط لهما . وكان بعض الصحابة يخبر النبي (ص) بلز المنافقين فيقول : رحم الله موسى لقد أوذي باكثر من هذا فصبر . ولاريب انه يجوز بناء على هذا إخبار الامام بما يقال عنه . وهكذا كان لعمر عيون على الناس ينقلون اليه أخبارهم كما كان يفعل حذيفة بن اليمان في نقله أسرار المنافقين الى رسول الله (ص) . ومن اللطائف ماروي من ان (ابن غازي) احد علماء المغرب قد عين بعض أصحابه ان يكتب له كل ماجرى له في البلد وماقال وقيل من خميس الى خميس فيطالع ذلك . ويكون ذلك يوم الخميس الذي فيه تفرغ من التدريس . ورووا ان الحافظ ابا العباس المقري اتخذ — وهو مقيم في مصر — رجلاً بنفقته وكسوته ومايحتاج اليه على ان يذهب كل يوم صباحاً فيخترق البلد أسواقاً ومساجد ورحاباً وأزقة ، وكلما رأى امراً او سمع خبراً قصه على ابي العباس في الليل . وروى بعض تلاميذ ابي العباس (الدرعي) ان شيخه المذكور كان كثير السؤال والفحص عن أحوال الناس وفائهم في الأقطار والمدائن قال وكان يسألني عن ذلك كثيراً . فقلت في نفسي مرة : ما للشيخ وللاخبار ؟ لو اشتغل بصلاته وصيامه وسبحته كان أحسن له . قال فلقيني بعد ذلك بقريب وقال لي : المؤمن يسأل عن إخوانه وعن أحوالهم فمن كان منهم في خير دعا له بالزيادة والهناء ومن كان في شر وفقر دعا له بخير ورحمة . ويقال ان الشيخ الشعراني كان في تعرف أحوال الناس على قدم الشيخ الدرعي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي طبقات ابن سعد عن موسى بن طلحة قال : رأيت عثمان بن عفان والمؤذن يؤذن (يعني يوم الجمعة) وهو يحدث الناس يسألهم ويستخبرهم عن الأسعار والأخبار . ومن طريق آخر انه يجلس على المنبر فيؤذن المؤذن وهو يتحدث يسأل الناس عن أسعارهم وعن قوامهم وعن مرضاهم ثم يقوم فيخطب . اه

هذا وفي نشوار المحاضرة (جزئه الثاني) الذي مازال مخطوطاً خبر عن بعض رجال الدولة العباسية يدل على مبلغ عنايتهم بالاخبار وتقصي أحوال الناس وسيرهم قال :

حدثني محمد بن احمد بن عثمان الزيات قال حدثني ابو بكر بن حوري : شيخ كان من أهل خامية ؟ من أعمال النهروان قد أقام ببغداد سنين وكان مشهوراً بصحبة ابي عبدالله ابن ابي عوف قال : كنت ألزم ابن ابي عوف سنين لجوار بيننا ومودة . لا أسأله حاجة : لانها لم تكن تعرض لي وكنت أتخفف بين يديه في حوائج ينفذني فيها . وكان رسمي في كل ليلة أجيئه بعد العتمة وقد صلى ودخل منزله . فحين يراني يمد رجله في حجري فاغمزها وأحادثه فيسألني عن الاخبار والحوادث ببغداد . وكنت أسأل عنها وأتطلبها من كل موضع واجيئه بها وأخبره بخبر من قدم البلد ومن سافر عنه ومن مات ومن وُلد ومن خاصم ومن ورث ومن يُرجف به الناس وأخبار الجيران وبكل غث وسمين الى ان ينعس فاذا نعس قبض رجله فقمت الى بيتي وقد مضى ثلث الليل او بعضه او أقل . وجرى الامر على هذا سنين . فلما كان ذات يوم جاءني سقطي [1] كان يعاملني فقال قد دُفعتُ الى شيء ان تم لي افتقرت . فقلت ماهو ؟ فقال رجل كنت أعامله فاجتمع لي عليه الف دينار فطالبته فرهنني عقدَ جوهر قُوِّم بالف دينار لي ان يفتكّه بعد شهور او أبيعه . وأذن

(١) بائع السقط وهو الرديء من متاع البيت نحو الابرة والفأس والقدر :

وما للمرء خير في حياة اذا ماعد من سقط المتاع

اولعل صوابه السفطي (بالفاء) نسبة الى السفط وهو مايعبّي فيه الطيب وماأشبهه من أدوات النساء . ويكون المراد هنا بائع الطيوب وسائر الحاجات النسائية وهو المسمى في عصرنا بالافرنسية (nouveauté) وانما رجحنا ان يكون هذا هو المراد لان السفطي المذكور في هذا الخبر تجمّع له مع بعض عملائه الف دينار . والمتاجر بحاجات النساء وأدواتهن ووسائل تطريتهن — خليق بان يملك الألوف من الدنانير على العكس من بائع الابرة والفاس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لي في ذلك فلما كان امس وجه (مؤنس الفحل صاحب الشرطة) من كَبَسَ دكاني وفتح صندوقي واخذ العقد وقد استتر الرجل . فقلت له لا تفكر في هذا فاني أخاطب (اباعبدالله بن ابي عوف) فيلزمه رده صاغراً . قال وانا مُدِلٌّ بابن ابي عوف لمكاني منه . ومكنته من المعتضد (الخليفة) . فلما كان تلك الليلة جئته فمدّ رجله في حجري على الرسم . وحادثته وعرفته الأخبار وقلت له في جملتها أمر السقطي مع مؤنس (رئيس الشرطة) ثم قلت هذا الرجل جاري ومعاملي وأوجبُ الناس حقاً عليّ ولا بد والله من تفضلك ياسيدي واعتنائك في امره وإلزام مؤنس (رئيس الشرطة) رد العقد .

قال ما انا وهذا ؟ أعادي صاحب شرطة الخليفة ؟ وكيف استجرأتَ ان تعرّضني لمثل هذا وتسألني فيه ؟ وكأني بك وقد قلتَ ابن ابي عوف صديقي ألزمه رد هذا . ولم تُشفق على جاهي وكأنّ صلاح حال السقطي أحب اليك من صيانة جاهي . ما انا عافاك الله وهذا ولا اليه ؟ قال فورد عليّ من هذا أعظم مورد . وقلت في نفسي : هذا رجل قد خدمته كذا وكذا سنة هذه الخدمة التي لم تخدمها العبيد على اني ما سألته قط حاجةً ولا احتجت اليه في شيء ولا له عليّ رزق ولا إفضال يلقاني في حاجة قد سألته فيها بمثل هذا ؟ ! شهد الله لا دخلت له داراً بعدها ابداً . وامسكتُ وجلست لا أتكلم . ثم قمت قبل الوقت الذي كنت أقوم فيه . وعدت الى منزلي منكسراً مغموماً . فلما كان من الغد بكرتُ (١) لئلا يجيئني الرجل (السقطي) بسبب حاجته فأفتضح عنده . ولم أدخل ببتي الى وقت المغرب . ثم جئتُ فصليت وطرحت نفسي على سريري واعتقدت أنني لا أمضي اليه . فلما صليت العتمة جاءني خادم لابن ابي عوف فقال الشيخ يقرأ عليك السلام و يقول لمَ تأخرت الليلة ؟ ان كنت معافيً فتعال وان كنت متشكياً جئناك فاستحييت وقلت أمضي الليلة ثم أنقطع . فحين دخلت اليه ورآني مدّ رجله في حجري . فأخذتها وغمزتها على الرسم فقال ايش (٢) عندك من الأخبار ؟ فأقبلت أحدثه بحديث غثّ متكلّف متصنّع . فلم يزل يصبر على

---

(١) بكرت اي نزلت من داري باكراً .

(٢) ايش منحوتة من اي شيء وهي من كلمات عامتنا اليوم لكنها مع هذا كثيرة الاستعمال في كلام الفصحاء الاقدمين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك ساعة ثم قبض رجله فقمت فقال : يابابكر[١] انظر ايش تحت المصلّى[٢] واذا برقعة في قرطاس فأخذتها وتقدمت الى الشمعة واذا فيها: «يامؤنس جسرت على قصد دكان رجل» « تاجر يعرف بفلان وفتحت صندوقه واخذت منه عقد جوهر قيمته الف دينار وانا في الدنيا؟ » « والله لولانها اول غلطة غلطتها ماجرى في ذلك مناظرة[٣] . اركب بنفسك الى دكان» « الرجل (السقطي) حتى ترد العقد في الصندوق بيدك ظاهراً » .

فقلتُ لابي عبد الله ايش هذا ياسيدي ؟ فقال خطّ المعتضد (الخليفة) الى مؤنس (رئيس الشرطة) بما أردته : مثّلتُ بين وجدك وعتبك مع وزن بقاء الحال مع مؤنس رئيس الشرطة — كما هي — وبين رضاك وقضاء حقك وايحاش مؤنس فاخترتُك عليه فأخذتُ خط امير المؤمنين بماتراه . فامض وأوصله اليه فانه يفعل ما أمره به . فقبّلتُ رأسه وشكرته وانصرفت وانا من الفرح لا أعقل . وجئت الى السقطي واخذت بيده ومضينا الى مؤنس وسلّمت التوقيع اليه .

فحين قرأه اسودّ وجهه وارتعد حتى سقطت الرقعة من يده . ثم قال « يا هذا : الله بيني وبينك . هذا شيءٌ ماعلمتُ به وتموّه عليّ فألاّ تظلمتم اليّ فان لم أُنصفكم فالى الوزير . ماهذا ؟ بلّغتم الأمر الى امير المؤمنين من أول وهلة !! » قال وانتشطت[٤] فقلت « بعلمك جرى والعقد معك » قال : فأحضر العقد ، قال : خذوا الالف دينار التي عليه الساعة واكتبوا على الرجل (السقطي) بطلان مادعاه . فقلت لاتفعل . فقال خذوا الف وخمسمائة دينار . فقلت والله لو أعطيتنا الف الف دينار ما رضينا او تركب بنفسك الى الدكان والعقدُ معك فترده الى الصندوق ولانكذّب انفسنا . اوترد التوقيع . فقال أسرجوا لي قال : فركب والله في موكبه حتى وقف على دكان (السقطي) ورد العقد بيده الى الصندوق . فجاءنا صاحبه من ذلك اليوم ودفع الالف دينار وارتجعه . « المغربي »

(١) قوله يابابكر باسقاط همزة (أب) وكانوا قديماً يصنعون كذلك في همزة (اب) المنادى في لغتهم الدارجة وكذا اليوم في لغتنا . (٢) «المصلى» سجادة الصلاة حيث كان يصلي . (٣) ماجرى في ذلك مناظرة اي محاورة ومراجعة بل كنت أوقعت بك .

(٤) قوله فانتشطت (من الانشوطة) اي كأنني كنت موثقاً في أنشوطة حبل ثم حلّت عني واجترأت على الجواب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

زياد بن ابي سفيان

جاءنا من الاستاذ (ابيان) وصف درهم ساساني اسلامي تاريخه سنة ٢٤ هـ . فرغب ان يطلع عليه قراء مجلة المجمع العلمي العربي خدمة للتاريخ .

وهذا وصف الدرهم المذكور :

شكل (١)

شكل (٢)

(وجهه) شكل ١ معاوية كسرى (اي رسم كسرى النصفي الاعلى) .

على جهة اليمين كتابة فهلوية : (كد افزود) .

على جهة اليسار كتابة فهلوية : (زياد بن ابي سفيان)

على حاشية الدرهم بخط كوفي : (بسم الله)

(ظهره) شكل ٢ شخصان بينهما مشعل

على جهة اليسار التاريخ بخط فهلوي : (١٣) الموافق لسنة ٢٤ هـ .

على جهة اليمين محل الضرب بخط فهلوي : (شابران او شُبرقان) .

قال البلخي في تاريخه (كتاب البدء والتاريخ جلد ٦ ص ٣) : « قالوا ان معاوية اول من ادعى الى غير ابيه فادعى زياداً اخاً له لما رأى من جلده ونفاذه . وزياد هو ابن عبيد من ثقيف وأمه سمية » .

يظهر ان هذه العبارة غير مستقاة من مصدر تاريخي واظنها غير صحيحة وعبارة الدرهم المذكور هي فصل الخطاب لانها تثبت ان معاوية وزياداً هما حقيقة أخوان لأب واحد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فان صح ان سنة (١٣) هي التاريخ اليزدجردي الموافق لسنة ٢٤ هـ . فيكون زياد قد سبق له الانتساب الى ابي سفيان قبل سبعة عشر سنة من خلافة معاوية ويتضح من هذه الوثيقة المعاصرة لذاك العهد ان زياداً كان يسمى زياد بن ابي سفيان قبل تولية معاوية اي في زمن خلافة عثمان .

وقال ابن الطقطقي في كتابه الفخري ص : ١٠٠ « فكتب (اليه معاوية) اليه (اليه زياد) كتاباً يتهدده و يعرّض له بولادة ابي سفيان و يقول له انت اخي ».

وذكر (هوبار) في الجزء الاول من تاريخ العرب ص ٢٦ ماترجمته :

« لم يتردد معاوية بالاعتراف بزياد انه ابن ابيه ابي سفيان والحقه بنسبه » .

فقول الطقطقي وهوبار المتقدم ذكرهما هو الصواب واصح مما نقله البلخي . فعبارة الدرهم هي وثيقة تاريخية تثبت قولهما بان زياداً هو ابن ابي سفيان واخو معاوية .

ابيان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مطبوعات حديثة

—*—

الاعلان بالتوبيخ

« لمن ذم التاريخ »

طبع بمطبعة الترقي بدمشق ص ١٧٠

الحافظ السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن مؤلف هذا الكتاب (المتوفى سنة ٩٠٢ هـ) من اشهر رجال العلم والتصنيف في القرن التاسع . وهو صاحب التاريخ المسمى (الضوء اللامع في رجال القرن التاسع) الذى مازال مخطوطاً في خمسة أجلاد . ولعمري ان طبع هذا الكتاب هو أعظم عمل يخدم به التاريخ الاسلامي والتعريف برجاله الذين عاشوا في عصوره الوسطى . و يظهر ان العلامة السخاوي كان شديد العناية بفن التاريخ إذ أن معظم مصنفاته تحوم حول هذا الفن . وكأن أناساً من معاصريه لمزوه او لمزوا فن التاريخ وزعموا انه دون غيره من العلوم . فقام المؤلف ووضع كتابه هذا (الاعلان بالتوبيخ) وضمنه فضل التاريخ وفوائده والمصنفين فيه والمقارنة بين مصنفاتهم ونقدها وكل ما له علاقة بفن التاريخ . فصح فيه ما قاله الاستاذ احمد باشا تيمور (رحمه الله) : ان كتاب (الاعلان بالتوبيخ) هو تاريخ للتاريخ في الاسلام » .

عمد الى طبع هذا الكتاب الأديب (السيد حسام الدين القدسي) وقد استخرج نسخته من نسختين ظفر بهما في خزانة كتب العلامة احمد باشا تيمور . وقد قدم لها مقدمة ضمنها ترجمة مؤلفها السخاوي . ولا يستغني عن مطالعة هذا الكتاب مؤرخ ولا محدث ولا كاتب في تاريخ الاسلام . وان المتفصح له يجد فيه فوائد قلما يظفر بها في غيره . ومما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لوحظ فيه ان المؤلف استعمل كلمة (اختيار) بمعنى المتقدم في السن (ص ٩) وكنا نحسب ان هذه الكلمة بهذا المعنى انما جاءتنا من الاتراك العثمانيين المتأخرين . وكأنهم يريدون بها ان هذا المسن الهرم أصبح مختاراً لرحمة الله وسكنى جنته . والشيخ المؤلف كان يعيش في مصر في زمن لم يكن الأتراك العثمانيون استولوا عليها بعد . فالكلمة اقدم مما نظن .

وفي صفحة (٣٤) ذكر السبب في وفاة ابن مالك صاحب الألفية نزيل دمشق فقال انه كان خطيباً في بعض قرى دمشق فمارضه بعض جهلتها وانتزع الخطابة منه فشق عليه الامر . ثم انه صلى الجمعة في المسجد وبعد ان نزل ذلك الخطيب عن المنبر سأله ابن مالك عن مخرج الألف يعني مخرجها من الفم وهو سؤال في علم التجويد لا يحسن ان يجهله امام ولا خطيب . فتحير الخطيب وظن انه يكلمه بالأعجمية . فما كان منه الا ان شرع يسرد له حروف الهجاء : ألف باء تاء ثاء حتى استوفاها كلها فصاح أنصار الخطيب من العامة مسروراً قائلين : ها هو قد سئل عن مسألة فأجاب بتسع وعشرين . فالتفت ابن مالك يمنة ويسرة فلم يجد له ناصراً فمات بعد ايام يسيرة .

« المغربي »

النواة في حقول الحياة

هذا الكتاب لمؤلفه الاستاذ السيد محمد حبيب العبيدي الموصلي في نيف ومائتي صفحة تضمنت زبدة ماينبغي ان يقال في الأخلاق الفاضلة من حيث انها دعامة للاجتماع الاسلامي خاصة والانساني عامة . وقد أراد بتسمية كتابه بالنواة في حقول الحياة ان مضامينه اذا قرأها الناشئون كانت نواة طيبة تثمر لهم من سعادة الحياة ما يفيدهم أفراداً ومجتمعين .

واذ كانت الاخلاق الفاضلة لا بد ان تقوم على الاعتقاد بالله قدّم المؤلف بحث الاعتقاد والنظر في الكائنات على الأبحاث الاربعة التي بنى عليها كتابه ثم قفّى على ذلك ببحث الأخلاق ونتائجها . ولا يخفى ان الأخلاق انما تتكون او تستمد من البيئة التي ينقلب فيها الانسان فلم يدع المؤلف عاملاً من عوامل البيئة ومؤثراتها الا ذكره من مثل (العائلة) و (المدرسة) و (المعاشرين) و (المصنفات) و (الصحف) و (المجلات) وغير ذلك .

واكبر عوامل البيئة (الدين) و (الحكومة) ولذلك عقد المؤلف بحثين لهما . ولم يبحث

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في البيئة بحثاً نظرياً محضاً بل بحث فيها من حيث شؤونها التجارية التي ينبغي ان يعمل بها أبناء الأوطان ليكونوا وطنيين حقيقيين . وفي ذيل الصفحات تعليقات واضافات معظمها وقائع جرت للمؤلف فكان الاستشهاد بها عاملاً على زيادة الايضاح لمباحث الكتاب والانتفاع بفوائده فالشكر الجزيل للمؤلف الفاضل .

« له »

الآداب العربية وتاريخها

« تأليف جرجس كنعان طبع في المطبعة الادبية في بيروت سنة ١٩٣١ »

« في ٦٢٠ صفحة »

مؤلف الكتاب هو أستاذ للآداب العربية في (كلية الشرق في طرطوس) من بلاد (العلويين) فهو اذا كتب انما يكتب عن علم يمده عمل ، وعمل يغذيه علم ، ولذا كان لكتابه قيمة وفائدة في نفوس الأدباء وقد رتبه مطابقاً لمنهاج البكالوريا الذي تقرر السير عليه في الجمهورية اللبنانية والدولة السورية . فقسم عصور الشعر والنثر او الأدب عامة الى العصر الجاهلي فالأموي فالعباسي وقسم العباسي الى أدوار حتى بلغ العصر الأخير ودعاه (عصر الانبعاث) وقد تتبع رجال كل عصر من هذه العصور فترجم لهم — من الشفرى في الأقدمين — الى نجيب حبيقة في المعاصرين . والكتاب جمع بين غزارة المادة وحسن التبويب وخلوص النية في خدمة الوطن العربي ، ومن آثار ذلك قوله في مقدمة الكتاب « ولا يعرف التاريخ أدباً عالمياً قوياً شديد التأثير كالأدب العربي ففيه صهر الأدب الآري مع الأدب السامي وأصبح عنوان رقي العالم مدة عشرة قرون الخ » .

وهناك مواضع للانتقاد ليست بذات بال وهي مغفورة في جنب الاتقان والعناية الملموسة في كل جانب من جوانب الكتاب فنلفت اليه طلاب الآداب العربية عامة والبكالوريا خاصة فان فيه شفاء وبلاغاً .

« له »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net